الفصل الثانى

مناهج البحث فى مجال انتشار الجديد من الأفكار

« والبحث فى انتقال الأفكار ، وفى قبول الناس للأساليب الجديدة فى استغلال المزارع وإدارتها ، يعتبر اهتماماً بالصراع الدائر حول قبول التغيير الاجتماعى وعدمه . وبالرغم من المشكلات المشتركة بين الجانبين ، فانه ما من جانب منهما قد أظهر اهتماماً بما يجرى فعلا فى الجانب الآخر » .
(« إلياهو كاتز » ، عام ١٩٦٠)

فى عام ١٩٥٥ عثر المؤلف على مجلة تربوية خاصة بالدراسات والبحوث ذات الصلة بذيوع الأفكار التربوية الجديدة بين الناس ، وكان هذا أول التقاء فى فترة سبعة عشر عاماً بين مجالين هامين من مجالات البحث الاجتماعى وهما العلوم التربوية وعلم الاجتماع الريفى فى محاولة للكشف عن القوانين التى تحكم انتشار الأفكار الجديدة .

وفى هذا الفصل نستعرض أمام القارئ النقاط الست البارزة فى مناهج البحث الخاصة بذيوع الأفكار الجديدة كما نحاول أن نبين مواضع الالتقاء بين هذه النقاط .

النقص فى ذيوع البحوث المتعلقة بجديد الأفكار وانتشارها :

والعلماء على اختلاف تخصصاتهم يميلون دائماً نحو التحسر على النقص الملحوظ فى ذيوع أساليب البحث وتسجيل النتائج ، كل عالم فى مجال تخصصه . وإن المرء ليرجو ألا تكون هذه الظاهرة موجودة فى مجال الدراسات التى تجرى على انتشار الأفكار الجديدة . ومع ذلك فإن أى استعراض للبيانات المتاحة لنا والمتعلقة بذيوع الأفكار الجديدة لابد أن يؤدى بنا إلى نتيجة واحدة ، وهى أن أسباب الانتشار لنتائج البحوث التى أجريت على

طبيعة ذيوع الأفكار الجديدة بين المهتمين بهذه البحوث ما زالت فى حاجة إلى تدعيم . فمثلا ثمة جماعتان بارزتان من جماعات البحث فى أصول انتشار الأفكار الجديدة تعيشان جنباً إلى جنب فى رحاب إحدى الجامعات الكبيرة ، ولا يفصل البناء الذى يضم ممثلى إحداهما عن البناء الآخر الذى يعيش فيه ممثلو الجماعة الأخرى إلا بضعة أبنية قليلة . والعجيب أنه بعد مرور سنوات عديدة من العمل المتواصل المعترف بقيمته من كافة الجهات ، لم يكن لدى هاتين الجماعتين المتسمتين بالتفكير العلمى إلا قدر قليل من الفهم المشترك ، ولم تدرك إحداهما الاتجاهات التى سارت عليها الأخرى كما لم تعرف الواحدة النتائج التى توصلت إليها الأخرى .

وثمة شواهد أخرى عديدة على انعدام الاتصال بين جماعات البحث فى مجال انتشار الأفكار الجديدة . ونذكر هنا أن بحثاً عن تبنى الأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة فى أستراليا لم يشر إلى كتاب واحد من الكتب المائة والعشرين التى تناولت هذا الموضوع . لقد ذكر أحد العلماء الاستراليين فى حديث خاص جرى بينه وبين مؤلف هذا الكتاب أنهم كانوا على علم ببعض هذه المراجع ، ولكن البحث خلا تماماً مما يدل على أنهم تأثروا بها . والدارسون لموضوع ذيوع الأفكار الجديدة فى ميدان التربية والتعليم لديهم إدراك ضعيف لطبيعة الدراسات الاجتماعية أو الأنثروبولوجية التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة ، ولم يدركوا كيف تنتشر الأدوية الجديدة بين الأطباء أو كيف يعتنق المزارعون الأفكار المستحدثة فى الزراعة . كذلك لا يعلم العاملون فى مجالات علم الأجناس شيئاً عن الدراسات التى تتناول هذا الموضوع .

والسبب فى هذه الحوائل التى تحول دون تلاقى الجهود المختلفة فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة سوف نتحدث عنه فيما بعد ، كما سوف نتحدث عن دلالات هذا الانفصال . والآن لنرى كيف نشأت مناهج البحث المختلفة .

مناهج البحث :

ومنهج البحث ما هو إلا سلسلة الدراسات التى تجرى على موضوع سبق أن درس دراسات متتابعة خضعت لمعايير فاحصة . ومن شأن هذه الدراسات أن تهيء لنا الفرصة لاقتفاء آثار الخطوات العلمية التى سارت فيها الدراسة التى نحن بصددها .

لقد نظر «كاتز» إلى الدراسات التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة ، كما نظر إليها بالاشتراك مع «ليفين» باعتبار أنها الدراسات التى تتقصى :

١ — فكرة جديدة .
٢ — على مدى فترة زمنية معينة .
٣ — خلال وسائل انتقال محددة .
٤ — داخل تنظيم اجتماعى معين .

وفى مجال الدراسات التى تجرى على ذيوع الأفكار الجديدة تتحدد مناهج البحث عندما يدرس الباحثون العناصر سابقة الذكر ، أو بعضها . لقد أشار «كاتز» و «ليفين» عام ١٩٥٩ إلى سبعة مناهج أساسية فى مجال البحث عن الأسس التى تحكم انتشار الأفكار الجديدة بين الناس ، وهذه المناهج هى :

١ — المنهج الاجتماعى .
٢ — منهج علم الاجتماع القديم .
٣ — منهج علم الأجناس .
٤ — منهج البحث القائم على المشكلات اليومية .
٥ — منهج البحث القائم على أسس الانتقال الجماعى .
٦ — منهج البحث القائم على أسس علم الاجتماع الريفى ، وأخيراً

٧ — منهج البحث المتجه نحو التنقيب عن المعارنات الفنية التى تساعد على انتشار الأفكار المستحدثة .

وفى هذا الفصل من الكتاب نقوم بدراسة ستة مناهج من مناهج البحث الأساسية هى :

١ — منهج البحث القائم على نظريات علم الأجناس .
٢ — منهج البحث القائم على نظريات علم الاجتماع القديم .
٣ — منهج البحث القائم على أساس علم الاجتماع الريفى .
٤ — منهج البحث فى مجال التربية والتعليم .
٥ — منهج البحث الخاص بالصناعة . وأخيرا ،
٦ — منهج البحث المتعلق بأصول علم الاجتماع الطبى .

لقد أمكن تحديد معالم مناهج للبحث فى انتشار الأفكار الجديدة ، وهى المناهج الأساسية فى هذا الميدان ، ومع ذلك فإنه من الملاحظ أن كل علم من العلوم السلوكية الحديثة أصبحت الآن تهتم اهتماماً كبيراً بدراسة الأسس التى تنتشر بمقتضاها الأفكار الجديدة . وعلم الأجناس من شأنه أن يتناول بالبحث تأثير الثقافة على انتشار الأفكار المستحدثة وخاصة فى المجتمعات المختلفة . كذلك علم الصحة العامة يهتم بدراسة انتشار المعلومات الصحية والتطبيقات فى هذا المجال . كذلك نرى أن علم الكلام يهتم اهتماماً خاصاً بانتشار الأنماط الجديدة ، والقوالب اللغوية المستحدثة . وأخيراً نرى أن علم التسويق يهتم كثيراً بظهور المنتجات الجديدة فى الأسواق وما يتبع شراءَها وبيعها من طرق ونظريات ، كما أن السلوك الجمعى يدخل فى اعتباره ظهور التقاليع والمودات والحركات الاجتماعية اليومية ، ويتناولها بالبحث والتحليل .

والقائمة التى وضعها « كاتز » و « ليفين » عام ١٩٥٩ والمتعلقة بمناهج

البحث تتضمن البحوث الخاصة بالأفكار المستحدثة فى ميدان التسويق ، فى حين أن القائمة الحالية لمناهج البحث تخلو منها . على أن الدراسات الموجودة لدينا الآن فى هذا المجال تعتبر قليلة العدد نسبياً ، وقد يكون من الصحيح القول بأن الجانب الأكبر من « الاهتمام بظهور الأفكار المستحدثة فى مجال التسويق يكمن فى ملفات الهيئات المستقلة التى تهتم بمثل هذه الأمور » .

والقائمة الحالية لمناهج البحث تتضمن ما هو متعلق بالبحوث التى أجريت فى مجال التربية والتعليم وعددها ١٧٢ ، وما هو متعلق بالبحوث التى أجريت فى مجال الصناعة وعددها ١٢ ، وكل هذه لم يأت ذكرها فى قائمة « كاتز » و « ليفين » . أما منهج البحث الخاص بعلم الاجتماع الطبى فيدخل فيه ٢١ بحثاً تحليلياً أجريت على تعاطى الأدوية والمسكنات ، وذلك بالإضافة إلى ١٦ بحثاً تحليلياً أجريت على المستحدثات الطبية كمصل شلل الأطفال . وكلمة « علم الاجتماع الطبى » يبدو أنها تصلح لأن تكون اسماً أكثر مناسبة للبحوث التى تجرى حالياً فى هذا الميدان الآخذ الآن فى الاتساع من كلمة « الاتصال الجمعى » ، التى فضلها « كاتز » و « ليفين » على غيرها من التعبيرات . كذلك يعتبر هذان العالمان ما يطلقان عليه كلمة « المعاونة الفنية » منهجاً جديداً يضاف إلى ما سبق ذكره من مناهج البحث المعروفة . ولقد قمت بتصنيف هذه الدراسات بنفس النظام الذى اتبعاه على اعتبار أنها دراسات تخضع لمنهج البحث فى ميدان علم الأجناس .

ومن الممكن طبعاً أن نقوم بتصنيف مناهج البحث فى أى موضوع من الموضوعات وفقاً لعدد من المعايير المختلفة . فمثلا مناهج البحث الحالية المعروفة تصنف وفقاً لما يأتى :

١ — نوع الأفكار الجديدة موضوع البحث (كالأدوية والمسكنات والأفكار الجديدة فى مجالات الزراعة والتربية) .

٢ — الاتجاهات التى يخضع لها الباحثون مثل (الاتجاه الأنثروبولوجى والاتجاه الاجتماعى والاتجاه التربوى) .

وفى الأقسام التالية سوف نتحدث فى إسهاب وتفصيل عن مناهج البحث الستة الأساسية .

منهج البحث المتفق مع علم الأنثروبولوجيا :

ومنهج البحث الأنثروبولوجى فى دراسة انتشار الأفكار الجديدة هو بلا شك أقدم المناهج الستة التى نتحدث عنها الآن . لقد كان لهذا المنهج تأثير كبير على منهج علم الاجتماع القديم ، وعلى منهج علم الاجتماع الريفى ، وعلم الاجتماع الطبى ، وإن كان تأثيره أقل على المنهج التربوى ، ومنهج البحث فى مجال الصناعة . أما مناهج البحث الخمسة الأخرى ، فلم يكن لها بدورها أى تأثير ملموس على الدراسات التى أجريت أخيراً على موضوع انتشار الأفكار الجديدة فى مجال منهج البحث الأنثروبولوجى . وعندما نشأت البحوث الأولى فى مجال علم الأنثروبولوجيا ، نشأ نقاش كبير حول الانتشار وهل هو أهم من الاستنباط . كانت المشكلة فى حقيقتها هى هل الأفكار تستنبط استنباطاً حراً فى نطاق ثقافتين مختلفتين ، أو أن الفكرة تستنبط فى ثقافة ، ثم تنتقل إلى أخرى ؟ لقد قيدت جماعات معينة من العلماء فى مطلع إجراء الدراسات التى أجريت وفقاً لمنهج علم الأنثروبولوجيا أنفسها باستعمالات محددة مثل « ناشرو الفكرة البريطانيون » و « ناشرو الفكرة الألمان » وهذا من شأنه أن يوحى بالأهمية البالغة لمفهوم الانتشار على مدى التاريخ الطويل لعلم الأنثروبولوجيا . ومهما يكن من أمر فإن ناشرى الأفكار الأول كانوا فعلاً على درجة قليلة من الاهتمام بفهم طبيعة عمليات نشر الأفكار ذاتها . وكلما تطور ميدان الأنثروبولوجيا واتسع ، اهتم عدد كبير من الدراسات الأنثروبولوجية بتحرى حقيقة قبول

المجتمعات البدائية للآراء الحديثة الصادرة عن الغرب . وبالرغم من الانشعابات العضوية لهذه الدراسات الموغلة فى التفسير الثقافى فإنها تسهم مساهمة قليلة نسبياً فى تكوين الخطوط المنهجية الأساسية لهذا الكتاب . لقد كان علماء الأنثروبولوجيا على وجه العموم مهتمين بانتقال الأفكار بين المجتمعات وكان اهتمامهم هذا يفوق اهتمامهم بمعرفة طبيعة انتشار الفكرة الواحدة داخل مجتمع واحد بذاته .

وأياً كان الأمر فإن « كروبر » و « وايسلر » نشرا عام ١٩٢٣ أعمالاً أنثروبولوجية أثرت تأثيراً مباشراً على كثير من الدراسات التى ظهرت أخيراً ، وكان هذا التأثير فى نطاق المنهج الأنثروبولوجى ، وفى غيره من مناهج البحث . فمثلاً نرى « وايسلر » عام ١٩٢٣ يقتفى أثر انتقال الخيول من المستكشفين الأسبان إلى قبائل الهنود الحمر فى أمريكا . وذكر « لنتون » عام ١٩٣٦ ملخصاً مختصراً للمعلومات الأنثروبولوجية المتعلقة بانتشار الأفكار والتى كانت سائدة فى أيامه . ومن الجائز أنه كان أحد العلماء الأول الذين قرروا بأن السمات المميزة للفكرة الجديدة تؤثر على مدى قابليتها للانتشار .

وعلماء الأنثروبولوجيا قد أظهروا ميلاً لتأكيد النتائج الاجتماعية المترتبة على انتشار الأفكار الجديدة ، وهذا الميل يفوق ميلهم إلى تأكيد أهمية أى منهج آخر من مناهج هذا البحث ، ويوضح ذلك تحليل « شارب » عام ١٩٥٢ للآثار التى ترتبت على اعتناق إحدى القبائل الاسترالية الوطنية لفكرة البلطة الصلب .

البلطة الصلب والاسترالى الأول :

والنتائج المترتبة على قبول إحدى القبائل الاسترالية الوطنية لفكرة البلطة الصلب إنما تهيء لنا مثلاً حياً للبحوث التى أجريت على انتشار

الأفكار فى مجال منهج البحث الأنثروبولوجى . أما القبيلة فاسمها قبيلة « يور يورينت » وينتقل أفرادها فى مجموعات كبيرة فى منطقة واسعة بحثاً وراء حيوانات الصيد . كانت البلطة الحجرية الدعامة الأساسية فى ثقافة أفراد هذه القبيلة إذ أنهم اكتشفوا أنها من الأمور التى لا يمكن الاستغناء عنها فى سعيهم للحصول على الطعام ، وفى إقامة المأوى ، وفى الحصول على الدفء . ومن الصعب تخيل ثورة أعظم ولا أكمل من تلك التى أوجدها استخدام البلطة ذات الرأس الحديدية بدلاً من البلطة ذات الرأس الصخرية .

وطريقة الدراسة التى اتبعها « شارب » عام ١٩٥٢ — كما اتبعها معظم زملائه الذين ساروا فى بحوثهم وفقاً للتقليد الأنثروبولوجى — لدراسة سلوك هذه القبيلة هى طريقة الملاحظة المشتركة . والباحث المتبع لهذه الطريقة يدرس الثقافة عن طريق الملاحظة الفعلية ، أى عن طريق الاشتراك فى النشاط اليومى للجماعة التى يدرسها . وفى عام ١٩٣٠ استطاع عالم من علماء علم الأجناس أن يشارك قبيلة « يور يورينت » ثلاثة عشر شهراً فى حياتها اليومية دون أن يلتقى برجل أبيض آخر . وبسبب حياة العزلة التى يعيشها أفراد هذه القبيلة ، لم يتأثر معظمهم بالحضارة الحديثة ، واستمر الحال كذلك إلى أن أنشىء فى السنوات الأخيرة مركز قريب من مراكز التبشير ، وكان المبشرون قد قاموا بتوزيع عدد كبير من البلط ذات الرؤوس الحديدية على أفراد القبيلة على صورة هبات مقابل أعمال أداها هؤلاء الأفراد لهم .

وقبل أيام البلطة الصلب كانت البلطة الحجرية رمزاً للرجولة والاحترام لكبار السن من أفراد القبيلة ، إذ كان الرجال يقتنون البلط الحجرية فى حين كانت النساء والأطفال هم المنتفعون الحقيقيون بهذه الأدوات ، وعلى هذا كانت البلط تستعار من الآباء والأزواج أو الأعمام وفقاً لنظام قائم على العلاقة الاجتماعية وتمليه العادات والتقاليد . لقد درج

أفراد هذه القبيلة على الحصول على رؤوس بلطهم الحجرية عن طريق المبادلة بالحراب مع أفراد القبائل الأخرى ، وكانت هذه المبادلات تتم وفقاً لطقوس معقدة ، وتقام لها احتفالات موسمية .

وعندما وزع المبشرون البلط الصلب على أفراد قبيلة « يور يورينت » كان الأمل يراودهم فى حدوث تطوير سريع يمس أسلوب الحياة الشائع بين أفراد القبيلة . لم تكن هناك مقاومة جدية للتحول عن البلط الحجرية والإقبال على تلك ذات الرؤوس المصنوعة من الصلب ، إذ أن أفراد القبيلة كان من عادتهم أن يحصلوا على أدواتهم عن طريق المتاجرة مع الآخرين . لقد كانت البلط الصلب أكثر قدرة على أداء معظم الأعمال ، وعلى ذلك سرعان ما اختفت البلط الحجرية بين أفراد القبيلة . على أن البلطة الصلب لم تسهم إلا بقليل فى معركة التطوير إذ أن أفراد هذه القبيلة استخدموا وقت الفراغ الذى هيأه لهم الاختراع الجديد فى النوم ، وهو « فن أجادوه إجادة تامة » .

كان رجال الإرساليات قد قاموا بتوزيع البلط الصلب على الرجال والنساء والأطفال دون تمييز ، وفى الواقع كان الشباب أكثر قابلية لاستخدام الأدوات الجديدة من كبار السن الذين لم يثقوا بالمبشرين ثقة تامة ، ونتيجة لذلك ساءت العلاقات الأسرية بين أفراد تلك القبيلة واختلطت الأوضاع القائمة على أساس السن والجنس واضطربت اضطراباً كبيراً . والشيوخ ، بعد أن كانوا يتمتعون باحترام الجميع ، أصبحوا الآن عالة على النساء والشبان واضطرتهم الظروف الجديدة إلى أن يستعيروا من هؤلاء بلطهم الصلب .

لقد اضطربت أيضاً نظم التبادل التجارى التى كانت شائعة بين أفراد تلك القبيلة فانهارت روابط الصداقة بين المتبادلين واضمحل اهتمام الناس بالأسواق والمهرجانات التى كان يتم فيها مبادلة البلط الحجرية بالحراب .

أما النظام الدينى والبناء الاجتماعى لهذه القبيلة فقد أصابه الخلل نتيجة لعجز الناس عن التكيف مع الفكرة الجديدة . ولعله من الأمور الهامة هنا ملاحظة أن البلطة الصلب لم تسبب وحدها كل التغييرات الاجتماعية التى لحقت أفراد هذه القبيلة ولكنها كانت المحور الذى تدور حوله كل هذه الاضطرابات الثقافية .

التطورات الأخيرة فى علم الأنثروبولوجيا

يوضح تحليل « شارب » لاعتناق أفراد قبيلة « اليور يورينت » فكرة البلطة ذات الرؤوس الحديدية الأهمية النسبية التى يمنحها منهج البحث الأنثروبولوجى لردود الفعل الاجتماعى التى توجدها الفكرة الجديدة . وقضية البلط الصلب هذه من الواجب أن تعارضها تحليلات أخرى أنثروبولوجية تكون فيها الفكرة الجديدة مصدراً لنتائج اجتماعية على جانب من الخطورة ليس كبيراً . والمثل على ذلك الدراسة التى قام بها « صتل » عام ١٩٥١ على نتائج إدخال زراعة البطاطس على إحدى القبائل الهندية التى تعيش فى جزر الباسفيك .

من الجائز أن يكون الكتاب الذى وضعه « بارنت » عام ١٩٥٣ وعنوانه « جديد الأفكار » هو واحد من أفضل الكتب التى نعرفها الآن والتى تعالج موضوع انتشار الأفكار المستحدثة وفقاً للنهج الأنثروبولوجى . لقد اهتم المؤلف فى المقام الأول بالكلام عن اعتناق الأفكار الجديدة على المستوى السيكولوجى بالرغم من أنه لم يستخدم مفهوم عملية اعتناق الفكرة الجديدة استخداماً واضحاً . والمادة التى يستخدمها « بارنت » فى هذا الكتاب مستمدة من ثقافات ست تتراوح مابين الثقافة الشائعة فى المجتمع الأمريكى الحديث وثقافة القبائل الهندية الساكنة فى

جزر المحيط الهادى . والرأى الذى يعلل به « بارنت » اعتناق الأفراد للأفكار الجديدة يقوم على أساس نظرى أكثر منه عملى .

وفى السنوات الأخيرة عدل المنهج الأنثروبولوجى اتجاهه شيئاً ما وأخذ يسير نحو زيادة الاهتمام بالبرامج الثقافية المختلطة ذات الاتجاه العملى . وفى العديد من تقارير بحوث هذا المنهج يدلل أصحابها على أن معتنقى هذا الاتجاه العملى عجزوا عن أن يدخلوا فى حسابهم القيم الثقافية لجمهور التجارب . ومن الجائز أن عدد الحالات التى قام الباحثون الخاضعون للمنهج الأنثروبولوجى بتحليلها وفشلوا فيها تزيد على عدد تلك التى نجحوا فيها .

منهج البحث المتفق مع علم الاجتماع القديم :

ومنهج البحث المعروف فى هذا الكتاب بعلم الاجتماع القديم يمكن العثور على نشأته فى كتابات العالم « تاردى » . وثمة عدد من المراجع لايقل عن خمسة عشر مرجعاً فى البحوث التى أجريت وفقاً لهذا المنهج وظهرت فى المدة من أواخر عام ١٩٢٠ حتى أوائل عام ١٩٤٠ .

والأهمية الحقيقية للمنهج المعروف بعلم الاجتماع القديم لاتكمن فى عدد الدراسات التى أجريت وفقاً له ولا فى التعقيد الذى تتسم به طرق البحث المستخدمة فيها بل إن هذه الاهمية لتكمن فى مالكتابات رجال علم الاجتماع القديم من تأثير على الباحثين الذين جاءوا فيما بعد وتصدوا لموضوع ذيوع الافكار الجديدة .

لقد اقترح « تاردى » عدة أفكار رائدة طورها ومحصها الباحثون الذين ظهروا فى الفترة الاخيرة . فمثلاً قرر « تاردى » أن اعتناق الأفكار الجديدة يسير عادة بالنسبة للبعد الزمنى بطريقة تشبه الحرف الإنجليزى (S) . ففى مبدأ الامر يعتنق عدد قليل من الناس الفكرة الجديدة ، وبعدها تبدأ أعداد كبيرة فى قبول الفكرة ، وفى النهاية يقل المعدل الذى

يعتنق الناس بمقتضاه هذه الفكرة . كذلك قرر « تاردى » أنه كلما كان أصحاب الأفكار الجديدة يتميزون بالانفتاح على العالم الخارجى ، كان هذا دافعاً لهذه الفئة على سرعة تقبل أفكار غيرهم . ومن الجائز أن تكون المساهمة الكبرى التى أسهم بها « تاردى » هى تعمقه فى فهم العمليات التى تؤدى بالناس الى تقليد رواد الفكر الجديد فى سلوكهم .

وتحليل «شارب» عام ١٩٢٨ لذيوع فكرة الحكم الذاتى فى نطاق المدينة إنما هو إحدى المحاولات الباكرة التى أجريت لدراسة الأفكار المستحدثة وفقاً لمنهج علم الاجتماع القديم . لقد استخدم « شارب » مصادر معلومات من الدرجة الثانية ، كما هى عادة معظم رجال علم الاجتماع القديم . كذلك اقتفى « شارب » أثر « تاردى » عند ما أظهر أن اعتناق فكرة الحكم الذاتى فى نطاق المدينة سار فى الولايات المتحدة وفقاً لمنحنى خاص له شكل الحرف الانجليزى « S » . وثمة عدد كبير آخر من رجال علم الاجتماع القديم الذين اعتنقوا فكرة « منحنى النمو » ذى الشكل السابق فى مجال تبنى الأفكار الجديدة .

وثمة اتجاه آخر شائع فى عدد من البحوث التى أجريت وفقاً لمنهج علم الاجتماع القديم ، وهو الاهتمام بدراسة أثر البيئة فى انتشار الأفكار الجديدة . فمثلاً درس كل من « بامبرتون » عام ١٩٣٦ و « بوارز » عام ١٩٣٨ الفروق الموجودة بين البيئة الريفية ، والبيئة الحضرية ، وأثر ذلك فى مدى انتشار أجهزة الراديو . ونمط الأفكار المستحدثة الذى درسه رجال علم الاجتماع القديم تأثر بإمكانية الحصول على هذه الأفكار من السجلات ، أو من غيرها من المصادر الثانوية ، كما يتضح من القائمة التالية :

١ — الاتجاهات السياسية « رايس » عام ١٩٢٨

٢ — طوابع البريد « بمبرتون » عام ١٩٣٦ و ١٩٣٨

٣ — قوانين التعليم الإلزامى « بمبرتون » عام ١٩٣٨

٤ — الحكم الذاتى فى نطاق المدينة « شارب » عام ١٩٢٨ و« ماكفورى » عام ١٩٤٠

٥ — المكائن الجديدة لتمشيط القطن وغزله « دافيز » عام ١٩٤١ . وأخيراً .

٦ — جمعيات الآباء والمعلمين « بمبرتون » عام ١٩٣٧ .

ومعظم رجال علم الاجتماع القديم حاولوا أن يتبعوا طريقة انتشار فكرة واحدة جديدة فى رقعة جغرافية معينة . ومن الاستثناءات التى تمت فى هذا المجال مافعله « ماكفورى » عام ١٩٤٠ اذ أنه أنشأ كشافاً مكوناً من إثنى عشرة فكرة جديدة فى نظم الإدارة الحكومية . هذا الكشاف كان محاولة باكرة لقياس القدرة على اتباع الأفكار الجديدة ، وكان فى حد ذاته سابقة سار على منوالها ـ وبخاصة فى مجال علم الاجتماع الريفى ـ عدد كبير من الباحثين الذين جاءوا فيما بعد .

ومن المحتمل أن تحقيق « بووارز » عام ١٩٣٧ و ١٩٣٨ كان أول دراسة أجريت وفقاً لمنهج علم الاجتماع القديم بغرض استخدام مصادر معلومات أخرى بالإضافة الى تلك التى أمكن الحصول عليها من سجلات رسمية . لقد اتصل « بووارز » بعدد من هواة تشغيل الراديو بلغ ٣١٢ هاوياً فى كافة أنحاء الولايات المتحدة عن طريق استفتاءات مكتوبة بغرض تحديد المؤثرات التى أدت بهم إلى اتباع هذه الهواية . و « بووارز » كان أول باحث يجد أن المؤثرات الشخصية أهم من المؤثرات غير الشخصية ، وذلك بالنسبة للهواة الأول ، وليس الحال كذلك بالنسبة للهواة الذين جاءوا بعد ذلك . واختتم « بووارز » تحقيقه بقوله : « إن عملية الانتشار تصبح أكثر تنظيماً ، وأكثر قابلية للتوسع عندما تثبت دعائمها وتقوى جذورها .

لقد ازداد عدد هواة تشغيل محطات الراديو فى الولايات المتحدة

زيادة كبيرة ، فبعد أن كانوا ثلاثمائة عام ١٩٤١ ، أصبحوا ستة وأربعين ألفاً في عام ١٩٣٥ . لقد حاول « بواورز » أن يقرر إذا ما كان هذا الانتشار يتبع شكلاً عادياً وانتهى إلى أنه يسير وفقاً لمنحنى عادي له شكل حرف « s » باستثناء هضبة بالقرب من وسط المنحنى . وبنفس الطريقة التي اتبعها غيره من الباحثين الذين ساروا في بحوثهم وفقاً للمنهج الاجتماعي، تتبع « بواورز » عام ١٩٣٨ آثار بعض العوامل البيئية المؤثرة على السكان الحي ، وهي التي تلعب دوراً كبيراً في علم الأحياء مسجلاً العلاقة بين حجم المدينة والمنطقة ودرجة التحضر ، وبين مدى انتشار هواية تشغيل محطات الراديو .

كان اهتمام رجال علم الاجتماع القديم منصباً بصفة خاصة على دراسة انتشار الأفكار الجديدة التي كان من المتوقع أن تسهم في إحداث التغيرات الاجتماعية الكبيرة . ورجال علم الاجتماع القديم ، باستثناء « بواورز » ، لم يهتموا اهتماماً خاصاً بعملية التبني ، وهي العملية التي يقرر الفرد عن طريقها اعتناق الفكرة . كما أنهم لم يركزوا اهتمامهم على العمليات التي عن طريقها يؤثر الأفراد على غيرهم في مجال تبني الأفكار أو مقاومتها . هذا القصور نشأ عن اعتماد رجال علم الاجتماع القديم على المصادر الثانوية للمعلومات وكذلك على كون وحدة اعتناق الفكرة لم تكن فرداً واحداً بل كانت في معظم الأحايين ولاية أو مدينة أو مؤسسة .

لقد كان رجال علم الاجتماع القديم يعرفون رجلاً من أمثال « لوي » و « ويسلر » و « كروبر » من بين المشتغلين بعلم الأجناس ، ولكنهم لم يستفيدوا من أفكار هؤلاء إلا قليلاً . ودراسات رجال علم الاجتماع القديم أسهمت بدورها إسهاماً غير مباشر في الحصول على النتائج المذكورة في الفصول التالية من هذا الكتاب ، ولكن نتائج دراسات علماء الاجتماع القديم لا يشار إليها إلا نادراً .

منهج البحث المتفق مع علم الاجتماع الريفى :

ومنهج البحث الذى أثمر أكبر عدد من الكتب والدراسات حول انتشار الأفكار الجديدة هو منهج علماء الاجتماع الريفى . ومعظم الدراسات التى تمت فى نطاق هذا المنهج تدور حول انتقال الابتكارات الزراعية من علماء الزراعة إلى المزارعين أنفسهم . ومنهج علم الاجتماع الريفى قد يكون « المنهج العلمى الوحيد » فى إطار العلوم الاجتماعية الذى يستطيع أن يباهى بميله إلى النواحى الاجتماعية فى موضوع ذيوع الأفكار الجديدة .

(« كاتز » عام ١٠٦١)

والخلفية التاريخية لهذا المنهج ترجع إلى الوراء إلى عام ١٩٢٠ عندما شرع أعضاء مجلس الخدمات الأمريكى يضعون معايير لتقييم فاعلية برامج الخدمات ، وكانت إحدى مقاييس التقييم تقوم على أساس معرفة قابلية الأفراد لاعتناق الأفكار الجديدة . ومما يمثل هذه الدراسات تمثيلاً دقيقاً تلك الدراسة التى وضعها « ويلسون » ، كما أن إحدى دراسات هذا الأخير تضمنت معلومات مستقاة من ٧٨٠٢ عائلة فى عشر ولايات ، والدراسة تدور أساساً حول معرفة أنجع الأساليب المؤدية إلى اعتناق الناس للأفكار الجديدة المرغوب فى اعتناقها . وفى عام ١٩٢٥ كان « ويلسون » وأعوانه يقومون بدراسة العلاقة بين الأفكار الجديدة المتبناة ، والتكاليف النسبية التى يتكلفها انتشارها بين الناس. (« ويلسون » و « جالوب » عام ١٩٥٥)

وعقب ذلك لم تجر دراسات على أساس منهج علم الاجتماع الريفى ، إلى أن جاء عام ١٩٤٠ عند ما قام « كومورجن » بتحرى الحقيقة فيما يختص باستعداد الزراع السويسريين المنحدرين من أصل ألمانى لتقبل الأفكار الجديدة ونقيض ذلك فى غير المنحدرين من هذا الأصل . وأصبح موضوع ذيوع الأفكار الجديدة جزءاً من البناء الأساسى لعلم الاجتماع

الريفى فى مطلع عام ١٩٤٠ . ولقد درس « هوفا » عام ١٩٤٢ اعتناق زراع الكرفس بولاية متشجان ، وهم من أصل هولندى ، لأساليب الزراعة الحديثة فى زراعة هذا النوع من النباتات ، كما قام « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ بدراسة انتشار فكرة الذرة الهجين فى ولاية « أيوا » ، وهذه الدراسة تمت وفقاً للأصول التقليدية الخاصة بمنهج علم الاجتماع الريفى . والواقع أن دراسة فكرة الذرة الهجين هى بلا شك أشهر الدراسات التى تمت وفقاً لمنهج علم الاجتماع الريفى .

والدراسة التى قام بها « هوفر » عام ١٩٤٢ كان الفضل فى إتمامها يعود إلى إصرار مدير محطة التجارب الزراعية فى « متشجان » ، إذ امتلأت نفسه حيرة عند ما رأى زراع الكرفس المنحدرين من أصل هولندى فى « متشجان » يرفضون استخدام المبيدات الحشرية التى استنبطها علماء الزراعة ، كما وجد أن اهتمام هؤلاء الزراع بالاقتصاد فى المصروفات ، وتوفير الأموال يشكل حائلاً كبيراً يحول دون اتباعهم للأفكار الجديدة فى زراعة الكرفس . وحتى لو كان فى مقدور الواحد من هؤلاء أن يشترى مبيداً جديداً يتكلف خمسين دولاراً كى ينقذ محصوله من الكرفس الذى يبلغ ثمنه الآلاف من الدولارات ، فإنه لا بد أن يرفض الفكرة لأنه يعتقد بأن اقتصاد المال لن يكون إلا عن طريق عدم صرفه فى الوجوه التى يصرف فيها المال . والدراسة التى قام بها « هوفر » ، من الجائز أن تكون ذات قيمة كبيرة بسبب طبيعتها التجريبية ، إذ أنها تقوم على أساس اتخاذ عدد من الزراع كعينة « للقياس » وعدد آخر كعينة أخرى « للتجريب » . وإلى هنا وتعتبر الدراسة التى قام بها « هوفر » خروجاً واضحاً على التشكيل التقليدى القديم الذى شاع فى الدراسات التى أجريت فى موضوع انتشار الأفكار مهما كان المنهج الذى يحكم إجراءها .

الدراسة التى أجريت على بذور الذرة الهجين :

وأكثر من أية دراسة أخرى ، أثرت الدراسة التى قام بها « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ فى موضوع انتشار فكرة إقبال الزراع على بذور الذرة الهجين وعلى الأساليب والنتائج والتفسيرات الخاصة بالدارسين الذين دخلوا فيما بعد ميدان البحث الاجتماعى القائم على علم الاجتماع الريفى . والدراسة التى قامت بها محطة التجارب الزراعية فى « أيوا » كان السبب فيها :

١ — أهمية بذور الذرة الهجين كعنصر من عناصر تكنولوجيا الزراعة التى شاعت فى الثلاثينيات من هذا القرن .

٢ — الصفات المميزة لهذه الدراسة ، تلك الصفات التى جعلت منها مثلاً يحتذى فى مجال الدراسات الاجتماعية .

٣ — الاهتمام الشخصى لدى « برايس رايان » بالتغير الثقافى .

كان « نيل جروس » حديث العهد بالتخرج من قسم الاجتماع الريفى بجامعة « أيوا » ، وكان يعرف القليل عن حياة الريفيين ، ولا يعرف شيئاً عن فن المقابلة للحصول على المعلومات . أما واجبه فكان مقابلة الفلاحين وسؤالهم عن رأيهم فى استخدام بذور الذرة الهجين . لقد أخبر بعضهم «جروس» أن عادة مزارعى « أيوا » كانت النهوض فى السادسة صباحاً ، وعلى ذلك أسرع عند الفجر بالانتظار على باب مخزن للحبوب مملوكاً للشخص الأول الذى اتخذه ركناً من أركان دراسته . وما إن انصرم حبل النهار حتى كان « جروس » قد أنجز واحداً وعشرين مقابلة من المقابلات اللازمة لإتمام بحثه . والواقع أن « جروس » كان ينجز فى المتوسط أربع عشرة مقابلة يومياً خلال الفترة التى خصصها لجمع المعلومات ، وكان ذلك عام ١٩٤١ . وهذا من الأمور الملفتة للنظر كثيراً ، إذا علمنا أن أربع

مقابلات فى اليوم الواحد تعتبر فى رأى علم الاجتماع الريفى الحديث المتوسط العادى لمثل هذه المقابلات .

وبمجموع المزارعين الذين اجتمع بهم « جروس » على انفراد وصل إلى ما يقرب من ثلاثمائة وخمسة وأربعين مزارعاً ، وهؤلاء جاءوا من بلدتين صغيرتين فى ولاية « أيوا » هما « جراند جانشن » و « سكرانتون » . ولقد استبعد « جروس » من مقابلاته مع هؤلاء المزارعين اثنى عشر مزارعاً يملكون أقل من عشرين فداناً ، كما استبعد أربعة وسبعين مزارعاً آخرين تصادف أن اتخذوا الزراعة مهنة لهم بعد انتشار فكرة الذرة الهجين . وهكذا تناقص عدد الأفراد الذين اتخذهم الباحث أساساً لدراسته حتى أصبح مائتين وتسعة وخمسين فرداً وكان جميعهم ، باستثناء اثنين منهم ، قد اعتنقوا فكرة بذور الذرة الهجين ، فى نفس الفترة التى بدأت فيها الدراسة ، أى فى عام ١٩٤١ .

وفكرة استخدام بذور الذرة الهجين جاءت نتيجة لسنوات عديدة من العمل الشاق ، والبحث المتعمق من قبل علماء الزراعة . لقد وجد هؤلاء أن قوة البذرة الناشئة عن التهجين لا تستمر فى الجيل التالى ، وعلى ذلك كان لابد للمزارعين من أن يشتروا فى كل عام بذور مهجنة جديدة . وقبل ظهور تلك الفكرة ، كان على الفلاحين أن يختاروا بذورهم من بين البذور ذات اللقاحات المتعددة . وكانت هذه أضعف إنتاجاً . إذ أن ميزة البذور المهجنة أنها تحقق زيادة فى المحصول تصل إلى ٢٠٪ منه ، وهذه هى الميزة الكبرى للفكرة . وفكرة البذور الهجين لم تكن معروفة حتى عام ١٩٢٨ ، ولكن ما إن جاء عام ١٩٤١ إلا وكانت الفكرة قد شاعت فى أوساط الفلاحين ، وساعد على هذا الانتشار المؤسسات التجارية النشيطة وهيئات الخدمة العامة فى ولاية « أيوا » .

أما النتائج المترتبة على هذه الدراسة ، فيمكن تلخيصها فى الآتى :

١ — انتشار فكرة بذور الذرة الهجين صار على شكل جرس ، وهذا ما توصل إليه « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ . لقد قسم « جروس » المعتنقين للفكرة إلى أربع فئات على أساس درجة المبادرة إلى اعتناقها ، وبعدها تحددت الصفات الاجتماعية المميزة لكل من الفريقين ، المبادر منهما والمتمهل ، تلك الصفات التى كان منها السن ، والمركز الاجتماعى ، ودرجة الانفتاح على العالم الخارجى .

٢ — كشف الباحثون عن مراحل ثلاث فى عملية تبنى الفكرة الجديدة هى :

(ا) مرحلة السماع عن الفكرة الجديدة لأول مرة .

(ب) مرحله محاولة تجريب الفكرة لأول مرة .

(ج) مرحلة تبنى الفكرة أو استعمالها استعمالاً كاملاً .

٣ — بلغ متوسط فترة التبنى للفكرة من وقت السماع عنها حتى وقت اعتناقها اعتناقاً كاملاً تسع سنوات لجميع الأفراد الذين أجرى البحث عليهم كما بلغ متوسط الفترة من لحظة السماع عن الفكرة إلى لحظة محاولة تجريبها خمس سنوات ونصف . ومن مرحلة التجريب حتى مرحلة الاعتناق الكامل كانت الفترة حوالى ثلاث سنوات ونصف .

٤ — سمع الفلاح العادى عن البذرة الهجين لأول مرة من بائع متجول ، ولكن أفراد الجيرة القريبة كانوا هم العامل الرئيسى الذى أدى بالفلاحين إلى الاعتناق الكامل للفكرة ، ومعنى هذا أن البائعين الجوالين كانوا هم مصدر من مصادر المعلومات بالنسبة للطلائع الأولى ، فى حين أن أفراد الجيرة القريبة كانوا كذلك بالنسبة لمن تبنى الفكرة بعد ذلك .

وفيما يلى نورد عدة انتقادات وجهت لهذا البحث :

١ — اتخذت الدراسة من نفسها دعامتين مستمدتين من الكتابات الأنثروبولوجية والاجتماعية القديمة ، وكذلك البحوث التى أجريت على

ذيوع الأفكار الجديدة ، وبالرغم من ذلك فان الدراسة التى قام بها « هوفر » عام ١٩٤٢ على زراع الكرفس بولاية « متشجان » وكذلك الدراسة التى قام بها « وارت » و « كورنيل » بجامعة كولومبيا على انتشار الأفكار الجديدة فى مجال التربية والتعليم قد أغفل أمرها تماماً .

٢ — تخلو هذه الدراسة من أى تحليل للرأى العام فى مجال انتشار فكرة الذرة الهجين بين الفلاحين ، وان كان تركيب العينة التى اعتمدت عليها الدراسة ، واحتوائها على عناصر أصيلة مستمدة من بيئتين زراعيتين لا بد أن تجعل من السهولة بمكان استخدام الأسئلة الهادفة الى قياس العلاقات الاجتماعية . « لقد جمعت المعلومات عن طريق استفتاء أفراد البيئة دون تنظيم ، كما لو كانوا مجرد أفراد فى عينة عشوائية لا تربطهم صلة » .
(« كاتز » و « ليفين » عام ١٩٥٦)

٣ — حدد « رايان » و « جروس » معنى كلمة « التقبل » بأنها استخدام البذرة الهجين لأول مرة (مرحلة المحاولة) وتجاهل الى حد كبير البعد الخاص بالتبنى من بين أبعاد الفكرة ، والتبنى هو الاستخدام الكامل ، وذلك فى نطاق المعلومات التى جمعاها . وهكذا يمكن القول بأن تصنيف معتنقى الفكرة الى فئات أربع إنما تم على أساس زمنى وليس على أساس الفكرة ذاتها .

وبالرغم من هذه العيوب الواضحة ، فإن عمق التحليل لفكرة البذرة الهجين كان من القوة بمكان كبير ، وثمة عدد كبير من الدراسات التى جاءت بعد ذلك ، والتى أحرزت تقدماً هاماً فى مجال البحث منتفعة فى ذلك بما أبداه « رايان » و « جروس » من أصالة وتجديد . على أن عدداً كبيراً من الدراسات الاجتماعية الريفية التى أعقبت هذه الدراسة سارت فى طريق آخر اتسم بالجمود وضعف القدرة على التخيل ، ولم تضف نتائجها الى معلوماتنا سوى القليل النادر ، وذلك فى أغلب الأحايين .

التطورات الاخيرة فى مجال البحوث التى وضعت وفقا لمنهج علم الاجتماع الريفى :

وأول دراسة تمت وفقاً لمنهج علم الاجتماع الريفى وتعتمد على قياس العلاقات الاجتماعية هى تلك التى قام بها « كولمان » عام ١٩٤٦ وموضوعها إقبال فلاحى ولاية « إلينوى » على استخدام أساليب المحافظة على حيوية التربة . وتأثير الصحبة والجيرة فى مجال تبنى الأفكار الجديدة ، وقد أشير إلى أهمية ذلك فى دراسات سابقة ، هو موضوع تحمس له « كولمان » فى الدراسة التى قام بها . على أن علماء علم الاجتماع الريفى « لم يسبق لهم إطلاقاً أن خططوا الشكل العام لانتشار فكرة جديدة معينة وعلاقة هذا الانتشار بالشكل العام الذى تتشكل بمقتضاه العلاقات الاجتماعية فى البيئة » .

(« كاتز » عام ١٩٦٠)

وفى أواخر عام ١٩٤٠ دخل هذا الميدان عالمان كبيران من علماء منهج علم الاجتماع الريفى ، ففى « ميسورى » وجه « هوبرت ليون بيرجر » عام ١٩٤٩ و ١٩٥١ بحثه وجهة معينة تستهدف التحقق من طبيعة المصادر التى تأتى منها الأفكار الزراعية التى يستخدمها صغار الفلاحين . وبعد ذلك ببضع سنوات أصبح « ليون بيرجر » عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٩ أكثر اهتماماً بتتبع أهمية المعايير الاجتماعية السائدة فى البيئة وأهمية الميل العام الى الأخذ بما هو جديد ، مع الاحتفاظ بالقديم وأهمية الوضع الاجتماعى السائد ، وأهمية القيادة الفكرية ، وأثرها فى انتقال الأفكار الزراعية الجديدة انتقالاً تدريجياً غير ملحوظ عن طريق الكلمة المنطوقة .

و « يوجين ويكلنج » وهو معاصر « لليون بيرجر » درس فكرة اعتناق الفلاحين بولاية « كارولاينا الشمالية » للأفكار الزراعية الجديدة ،

وكان ذلك فى الأعوام ١٩٤٩ و ١٩٥٠ و ١٩٥١ و ١٩٥٢ فى ولاية « وسكونسن » . لقد كانت دراسات « ويكلنج » التى أجراها فى ولاية « كارولاينا الشمالية » هى أول دراسات من نوعها تتجه وجهة اجتماعية نفسية لكى تقرر حدود العلاقات بين الاتجاهات والقيم واهتمامات الجماعات والقدرة على استنباط الأفكار المبتكرة . لقد تركزت جهود « ويكلنج » فى ولاية « وسكونسن » بصفة خاصة حول تأثير أفراد العائلة الواحدة على تبنى الأفكار الجديدة .

ومنذ منتصف عام ١٩٥٠ حتى اليوم أصبحنا نرى أعداداً متزايدة من البحوث التى تتمخض عنها قرائح علماء علم الاجتماع الريفى ، ومعظم هذه البحوث تبنتها محطات التجارب الزراعية التابعة للولايات ، أو هيئة البحوث التابعة للحكومة الفيدرالية ، أو الشركات الزراعية التابعة للقطاع الخاص ، كما تصرف الآن الإدارات المركزية والمحلية مبالغ طائلة على البحث العلمى الذى يستهدف البحث عن تكنولوجيا الزراعة . والمشرفون على توجيه سياسة هـــذه الإدارات أصبحوا الآن مقتنعين تماماً بأهمية البحوث الاجتماعية التى تستهدف نشر نتائج هذه الدراسات على المزارعين. ومعظم رجال علم الاجتماع الريفى يعملون فى خدمة المعاهد الزراعية ، ومما لاشك فيه أن قرب هؤلاء من الهيئات التى تعمل على تطوير الخدمات الزراعية وتوسيع نطاقها بين الزراع قد أثر على منهج البحث الذى يطبقونه.

وفى السنوات الأخيرة أنجز عدد كبير من علماء علم الاجتماع الريفى الأمريكيين بحوثاً عديدة فى الدول الأجنبية سالكين فى هـذه البحوث طرقاً تشبه إلى حد كبير الطرق المستخدمة فى الولايات المتحدة . ومن أمثلة هذه البحوث ما قام به « بولسن » و « بال » عام ١٩٥٥ فى « الفلبين » ، و « ويكلنج » عام ١٩٦٠ فى « استراليا » ، و « لندستروم » عام ١٩٥٨ فى « اليابان » . وثمة عدد من الدارسين الأجانب سبق لهم أن درسوا فى الولايات المتحدة

أصول علم الاجتماع الريفى يعملون الآن فى بلادهم فى ميدان البحوث ذات الصلة بموضوع ذيوع الأفكار الجديدة ، ومن بين هؤلاء « فان دنبان » و « راوداكار » و « بوز » و « برنابا » . والنظرة الدولية المعاصرة لعلم الاجتماع الريفى تؤكد أهمية هذا التزاوج بين البحوث وما يتمخض عنه من نتائج ذات أثر ملحوظ على كل ما يجرى من هذا النوع فى الولايات المتحدة وخارجها .

وبعد شىء من التطور البطىء ، ذلك التطور الذى ظهر عام ١٩٣٠ وعام ١٩٤٠ ، نرى أن عدد الدراسات التى أنجزت وفقاً لمنهج علم الاجتماع الريفى قد زاد زيادة سريعة عام ١٩٥٠ ، وكذلك فى مطلع عام ١٩٦٠ . لقد أدى تحليل « جروس » لذيوع فكرة بذور الذرة الهجين إلى نشوء كثير من الدراسات حول طبيعة انتشار الأفكار الجديدة وما يدخل فى ذلك من علاقات تشترك فى تكوين القدرة على ابتداع هذه الأفكار وعلى تقبلها ، وكذلك حول مصادر المعلومات فى المراحل التى تتكون منها عملية نقل الأفكار الجديدة (الفصل الرابع من هذا الكتاب) . وثمة أنماط أربعة أخرى من أنماط البحث وفقاً لهذا المنهج هى :

١ — المعايير الشائعة فى التنظيم الاجتماعى لقياس القدرة على ابتكار الأفكار الجديدة وإمكانية انتشارها (الفصل الثالث من هذا الكتاب) .

٢ — الصفات المميزة للأفكار الجديدة (الفصل الخامس) .

٣ — القيادة فى مجال الرأى (الفصل الثالث) .

٤ — دور الاخصائيين الاجتماعيين وغيرهم من العاملين فى مجالات نشر الجديد من الأفكار فى هذه البحوث (الفصل التاسع) .

وفى مجال مقارنة مناهج البحث بعضها ببعض ، قد يكون رجال علم الاجتماع الريفى الذين يدرسون موضوع ذيوع الأفكار المستحدثة ألصق

من غيرهم بمنهجهم . وتكرس جمعية علم الاجتماع الريفى كل عام عدداً من الدراسات لموضوع ذيوع الأفكار المستحدثة والكثير من هذه الدراسات ينشر فى مجلة الجمعية واسم هذه المجلة « مجلة علم الاجتماع الريفى » . وهناك اجتماعات نصف سنوية يعقدها رجال علم الاجتماع الريفى فى ولايات الوسط لدراسة هذا الموضوع وهذه الاجتماعات تعضدها مؤسسة المزارع وجمعيات المزارعين . ولقد تمخضت هذه الاجتماعات عن عدد من المنشورات والكتيبات . وثمة نشرة حديثة من هذه النشرات ظهرت أخيراً فى شكل كتاب من وضع « ليو نيبرجر » عام ١٩٦٠ .

ثمة نقد يوجه عادة لمنهج البحث المتبع فى مجال علم الاجتماع الريفى ويقول به علماء هذا العلم أنفسهم ألا وهو عدم الاهتمام بالنظرية الاجتماعية . وهناك ميل واضح فى كثير من الدراسات التى أجريت فى علم الاجتماع الريفى على ذيوع الأفكار المستحدثة نحو الأخذ بالمذهب التجريبى أو الاختبارى فى صوره البدائية مع تأكيد بسيط على الأهمية الاجتماعية للنتائج .

ومنهج البحث المتبع فى علم الاجتماع الريفى قد يكون قد صادف تقديراً طيباً من البعيدين عنه أكثر مما ناله من تقدير من القريبين منه ، فمثلاً نرى « كاتز » يقرر عام ١٩٥٦ أن علم الاجتماع الريفى « هو جزيرة من البحوث التى تجرى على تحديد العلاقات المستمدة من منهج اجتماعى يأخذ فى اعتباره أن الفلاحين يتحدثون عادة إلى فلاحين مثلهم ، وأن مثل هذه التفاعلات يترتب عليها عادة ردود أفعال يشترك فيها الأفراد والجماعات على السواء » .

منهج البحث المتفق مع النشاط فى مجال التربية والتعليم :

ومنهج البحث الخاص بانتشار جديد الأفكار فى مجالات التربية والتعليم إنما هو من أكبر مناهج البحث من حيث عدد الدراسات ولكن هذا المنهج

قد يكون أقل أهمية من ناحية إسهامه فى تحديد المفاهيم المتعلقة بذيوع الأفكار . والدراسات التى أجريت فى ميدان التربية والتعليم توضح نوعاً قوياً من الصلات المتبادلة داخل حدود المنهج المذكور ، وإن كانت مثل هذه الدراسات لا تقيم وزناً كبيراً لغيرها من الدراسات التى أنجزت وفقاً لمناهج البحوث الأخرى . و « روس » بعد أن استعرض الدراسات التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة فى مجالات التربية والتعليم اختتم كلامه بالآتى : « من الصعب أن نعثر فى أى جانب من جوانب التربية والتعليم على بحث يمكن أن يسمى بحث متكامل ، ويصلح أن يكون دراسة نمطية على ذيوع الأفكار الجديدة فى مجال التربية والتعليم » . ومن الأمور الملفتة للنظر هنا أنه لا التربية والتعليم ، ولا علم الاجتماع قد اهتما بإجراء دراسات على ذيوع الأفكار الجديدة فى ميدان التربية والتعليم . وفى كتب علم الاجتماع التربوى الرئيسية لا نجد إشارة لشىء من هذا النوع .

وغالبية الدراسات التى أجريت على ذيوع الأفكار الجديدة فى ميدان التربية والتعليم أنجزت فى معهد واحد فقط هو كلية المعلمين الملحقة بجامعة « كولومبيا » تحت رعاية باحث واحد هو « بول مورت » . لقد أطلق على هذا الأخير «القوة المحركة» فى كافة الدراسات التربوية . والبدايات الأولى للبحوث التى تمت فى مجال التربية والتعليم تمت بصلة قوية إلى البحث الأول الذى أجراه « مورت » وآخرون على الإدارة المالية للمدارس . هؤلاء الباحثون كانوا يحاولون الكشف عن قيمة الرقابة المحلية على القرارات ذات الصلة بالإدارة المالية للمدارس . ومن المميزات التى أحس بها « مورت » فى مجال هذه الدراسة أن الرقابة المحلية من شأنها أن تؤدى إلى زيادة التفاعل بين القائمين على شئون المدرسة ، وبين أفراد البيئة . والتفاعل هنا يمكن أن يكون مرادفاً لأمور عدة أهمها ابتكار جديد الأفكار واعتناقها ، كما أن هذا التفاعل حدد « بقدرة المدرسة على اصطناع أساليب

جديدة ، ونبذ الأساليب القديمة التى راح عهدها » . ولقد قال « هرت » و « كورنيل » :

« إن إدارة المدارس اليوم ، بمقتضى الأساليب التى كانت سائدة منذ خمسين عاماً ، إنما هى عمل ينطوى على إضاعة أموال المدرسة ووقتها . وإن القدرة على التفاعل ، وهى القدرة على مجابهة الاحتياجات الجديدة للمدرسة عن طريق تبنى أهداف جديدة وأساليب جديدة ، إنما هى عمل لا غنى عنه لأى نظام مدرسى فعال » .

هذه الفقرة لا توحى بالشك فى أن المدارس تعجز عن تطبيق ما هو جديد فى عالم التربية والتعليم ، واعتناق الأفكار المستحدثة ، بل إن هذا هو بالذات ما يطلب منها ، وإن الحال لكذلك فى جميع المطبوعات التى خرجت من جامعة « كولومبيا » فى موضوع ذيوع الأفكار الجديدة فى التربية والتعليم .

والحاجة إلى الاستعراض التفصيلى للدراسات المائة والخمسين التى أجرتها جامعة « كولومبيا » فى موضوع انتشار جديد الأفكار التربوية قد لا تكون ملحة الآن ، إذ أن هذا العمل تولاه « روس » فعلاً عام ١٩٥٨ ، مهما كان المدى الذى يذهب إليه هذا الاستعراض من مجرد الكشف عن الأثر الذى تتركه دراسة ما من الدراسات التى تتبع هذا المنهج على غيرها من الدراسات . ومعظم الدراسات التى تمت فى جامعة « كولومبيا » طبعت باعتبارها رسائل تقدم بها أصحابها لنيل درجة الدكتوراه فى التربية ، أو باعتبارها تقارير علمية من بين تلك التى تصدرها كلية المعلمين بالجامعة المذكورة . ومما يثير الاهتمام هنا أن نعرف بأن العون المالى لهذه الدراسات أتى الجانب الأكبر منه من المدارس العامة التى كانت موضوع الدراسة . أما الميزانية الإجمالية التى رصدتها جامعة « كولومبيا » للبحوث التى تتناول هذا الموضوع فقد أربت على ربع مليون دولار عام ١٩٥٠ والجانب الأكبر

من هذه الإعانة أعطى على صورة رسم سنوى دفعه كل عضو من أعضاء مجلس البحوث التربوية « بنيويورك » ، وكل مدرسة من المدارس المشتركة فى هيئة المدارس العامة ، وهى الهيئة التى تضم جميع المدارس العامة فى الولايات المتحدة .

والمادة العلمية اللازمة لهذه البحوث كانت فى معظم الأحايين تجمع عن طريق استفتاءات يرسلها بالبريد مفتشو الأقسام أو نظار المدارس ، ومعظم هذه البحوث تجعل من المدرسة والنظام التعليمى السائد ، الأساس الذى تدور حوله الدراسة . ولقد تمخضت هذه البحوث عن حقائق رئيسية يمكن إجمالها فيما يأتى :

١ — من بين الموضوعات العديدة المنوعة ذات الصلة بقدرة المدارس على اعتناق الأفكار الجديدة فى مجال التربية والتعليم ، موضوع التكلفة على أساس التلميذ الواحد ، وهو نفسه مايطلق عليه فى اقتصاديات التعليم «عامل الثروة» . ولقد اتضح أن هذا العامل هام جداً عند قياس قدرة المدارس العامة على اعتناق الأفكار الجديدة .

٢ — قبل انتشار الأفكار الجديدة فى مجال التعليم ، لابد من مرور فترة زمنية طويلة . والمدرسة الأمريكية العادية تتأخر عادة خمسة وعشرين عاماً عن أختها التى تعتنق الأساليب المستحدثة ، (مورت عام ١٩٤٦). ما السبب فى أن الأفكار التربوية الجديدة أبطأ انتشاراً من مثيلاتها فى مجالات الزراعة والطب ؟ قد يكون السبب :

(١) حاجة التعليم إلى مصدر علمى يخدم الأفكار الجديدة وينشرها .
(٢) حاجة التعليم إلى إخصائيين متفرغين لنشر الأفكار الجديدة .
(٣) الافتقار إلى الحافز الاقتصادى الذى يدفع العاملين فى التعليم إلى اعتناق الأفكار الجديدة .

قال « بيلى » عام ١٩٤٨ :

« لسوء الحظ يبدو أنه ما من فائدة مادية ترجى من وراء أن يكون المرء داعية لفكرة تربوية جديدة » .

وطبعاً يوجد اختلاف كبير فى معدل السرعة الذى يحدث التبنى للأفكار الجديدة بمقتضاه . فمثلاً قارن «ألن» عام ١٩٥٦ بين انتشار فكرة تدريب التلاميذ على قواعد المرور وانتشار فكرة تدريبهم على دراسة البيئة ، فوجد أن انتشار الفكرة الأولى احتاج إلى ثمانية عشر عاماً لكى تتبعها ١٦٨ مدرسة ، فى حين احتاجت الفكرة الثانية إلى ستين عاماً لكى تبلغ هذه الدرجة من الانتشار .

٣ — يسير نمط تبنى الأفكار المستحدثة فى مجال التعليم فى منحنى له شكل حرف « s » من أحرف الأبجدية الإنجليزية . ففى أول الأمر نجد أن عدداً قليلاً من « مدارس الطليعة » هى التى تتبنى الفكرة المستحدثة ، وبعد ذلك يقرر العدد الأكبر من المدارس أن الفكرة الجديدة مقبولة ، وفى النهاية يخف انحناء منحنى التبنى ، وذلك عندما تسير البقية الباقية من المدارس فى ركاب الفكرة الجديدة .

٤ — أوجد « مورت » و « بيرسن » عام ١٩٤٧ مقياساً لقياس القدرة على ابتكار الأفكار الجديدة ، وهذا المقياس يتكون من عدد من الأفكار التربوية الجديدة . كذلك وضعا نظاماً لتقدير الدرجات بحيث تنال المدرسة عدداً أكبر من الدرجات عندما تبادر قبل غيرها إلى اعتناق الفكرة الجديدة . هذا المقياس أدى ظهوره إلى تحسين أساليب قياس القدرة على تبنى الأفكار الجديدة ، ليس فى مجال التعليم فحسب ، بل فى المجالات الأخرى كذلك . وطريقة « روجير » لتحديد درجات التبنى وتصنيف المتبنين للأفكار فى مجال علم الاجتماع الريفى تتبع مباشرة طريقة « مورت » و « بيرس » التى وضعت قبل ذلك بأحد عشر عاماً .

وأول دراسة على مستوى الدولة فى مجال التعليم قام بها « كوكنج »

عام ١٩٥١ إذ صنف ١٢٠٠ مدرسة من مدارس الولايات المتحدة على أساس تبنيها لسبع أفكار تربوية مثل إكساب التلاميذ تجارب عملية ، وعقد الاجتماعات التى توجه التلاميذ إلى اختيار المهنة المناسبة ، وإقامة ورش للراديو . لم يجد « كوكنج » أن الولايات يختلف بعضها عن بعض من ناحية المبادرة إلى تبنى هذه الأفكار الجديدة ، بينما وجد أن المدارس الكبيرة الواقعة بالقرب من المدن الكبرى أكثر من غيرها قابلية لتبنى الأفكار الجديدة .

وضخامة عدد الدراسات التى أجريت فى جامعة « كولومبيا » على ذيوع الأفكار المستحدثة فى مجال التربية والتعليم تجعل المرء يتساءل لِمَ مرت هذه الدراسات دون أن يلحظها إنسان ؟ هذا الإهمال ليس مصوراً على الدراسات التى تمت فى مجال التعليم فحسب ، بل إنه موجود أيضاً بالنسبة لكثير من الدراسات التى أنجزت فى المجالات الأخرى .

والتزاوج بين الدراسات التى تمت على موضوع انتشار الأفكار الجديدة فى مجال التربية والتعليم ، وبين تلك التى تمت فى المجالات الأخرى ظهر بوضوح نتيجة لعدة دراسات أجريت على المقاومة التى تنشأ لدى العاملين بالتربية والتعليم للآراء الجديدة . وهذه الدراسات قد أنجزت فعلاً فى معاهد أخرى غير جامعة « كولومبيا . فمثلاً نرى « أيكهولتس » عام ١٩٦١ يستخدم المنهج الاجتماعى الريفى . ومنهج التربية والتعليم عند تحليله لأسبابه رفض بعض المربين للأفكار الجديدة فى مجال المعينات السمعية والبصرية كالأشرطة السينمائية والشرائح ، وبرامج الراديو ، وعروض التليفزيون . لقد جمع « أيكهولتس » معلومات استقاها من خمسة وأربعين معلماً من معلمى المدارس الابتدائية فى مدينة واحدة . ومن المهم أن نذكر هنا أنه فى هذه الدراسة اتخذ « ايكهولتس » من المعلم ، وليس المدرسة ، موضوعاً لتحليله ، كما اصطنع نظرية لربط الأفكار الجديدة ، وهذه النظرية تسير فى اتجاه

موازٍ (وإن كان عكسياً) لتبنى الأفكار الجديدة . أما المحاولات الرامية إلى اختبار هذه النظرية المتعلقة بربط الأفكار الجديدة ، فلم يتهيأ لها نجاح كامل .

ويقوم « بارتون » حالياً بدراسات الغرض منها التحقق من ذيوع الأساليب التربوية المستخدمة فى تعليم الأطفال المعوقين ، و « بارتون » من رجال علم الاجتماع العاملين بمكتب الأبحاث الاجتماعية التطبيقية الملحق بجامعة « كولومبيا » ، وهذه الدراسة بصورتها الراهنة تنطوى على الجمع بين منهجى علم الاجتماع ، والتربية والتعليم .

خلاصة ذلك أن درجة التزاوج بين مناهج البحث فى مجال التربية والتعليم وبين المناهج الأخـــرى ، تفوق أى تزاوج بين أى منهج ومنهج آخر .

منهج البحث المتفق مع النشاط فى مجال الصناعة :

والبحوث التى أجريت على هذا الموضوع فى مجال الصناعة ، قام بها باحثون يمتازون بخبرات أوسع فى مجالات التنظيم ، وهم من تلك الناحية يفوقون غيرهم من الباحثين فى الميادين الأخرى . فنحن نجد مثلاً بين الباحثين فى ميدان الصناعة مؤرخين للاقتصاد الصناعى ، كما نجد خبراء ومهندسين صناعيين ، وجميع هؤلاء قاموا ببحث موضوع ذيوع الأفكار الجديدة فى ميدان الصناعة . وفى جميع هـــذه البحوث نلاحظ اتجاهاً اقتصادياً قوياً ، وأغلب الظن أن النتائج التى توصل إليها هؤلاء فى مجال الأفكار الجديدة قد خضع للتحليل الدقيق ، وهذه الظاهرة إنما هى أوضح ما تكون فى هـــذا الميدان منها فى الميادين الأخرى . وأكثر الأساليب شيوعاً لدى الباحثين فى انتشار الأفكار الجديدة فى ميدان الصناعة ، هو أسلوب الدراسة الفردية ، أى دراسة كل حالة على حدة . هذا الأسلوب يجمع فى سياقه تحليلات رياضية وإحصائية جمعت فى الفترة

الأخيرة . ويمكن القول على وجه العموم إن المعلومات التى يستعين بها هذا الأسلوب تستمد من مصادر ثانوية كالوثائق التاريخية . وفى معظم هذه البحوث تكون المؤسسة الصناعية هى وحدة الدراسة .

وفى عام ١٩٤٩ أشار « دان هوف » إلى فئات أربع من الفئات التى ينطوى تحتها المعتنقون للأفكار الجديدة فى ميدان الصناعة ، وهذه الفئات هى :

١ — المبتكرون لحديث الآراء .

٢ — المجددون ، وهم الذين يعتنقون الآراء الجديدة بمجرد ظهورها .

٣ — الفابيون ، وهم الذين يعتنقون الآراء الجديدة عندما يثبت نفعها ويعترف كل إنسان بجدواها .

٤ — المتلكئون ، وهم آخر من يعتنق الآراء الجديدة .

ومنذ أن أعلن «دان هوف» عن هذه الآراء الجديدة أخذ عدة باحثين يحددون الصفات المميزة للمؤسسات الصناعية من ناحية استعدادها للأخذ بالأفكار الجديدة ، فنجد أن «كارتر» و «وليامز» يصنفان عام ١٩٥٧ مائة وثلاثين مؤسسة صناعية بريطانية من ناحية استعدادها لهذا الأمر ، وبعدها انتقلا الى محاولة تحديد الصفات المميزة لأكثر المؤسسات الصناعية تطوراً وأسرعها أخذاً بالأساليب الحديثة . وثمة اتجاه مماثل التزم به نفس هذين المؤلفين «كارتر» و «وليامز» عام ١٩٥٥ عندما قاما بتحليل خمسين مؤسسة إنجليزية ، كما التزم به «سائرلاند» عام ١٩٥٩ عند دراسته لست عشرة شركة من شركات غزل القطن . على أن اهتماماً خاصاً بالعلاقة بين الأخذ بالمستحدث من الأفكار ، وبين الاستثمار المادى الناتج عن ذلك ، قد بدا فى وضوح عند «اينوس» عام ١٩٥٨ وعام ١٩٦٠ ، و «مانسفيلد» عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦١ ، و «ستراسمان» عام ١٩٥٩ . وهذا الأخير يستخدم فى دراسته أمثلة خاصة منتقاة من بين المؤسسات الصناعية الآخذة بالأفكار

الجديدة فى مجالات صناعة الصلب والنسيج والآلات ، وتوليد الكهرباء ، بغرض تحديد حجم المغامرة التى قد ينطوى عليها السلوك التقدمى ، والاتجاه إلى الأخذ بجديد الأفكار .

والدراسة التى أجراها « كارتر » و « وليامز » عام ١٩٥٩ على خمسين مؤسسة من المؤسسات الصناعية الإنجليزية قد تمثل إلى حد ما منهج البحث فى ميدان الصناعة . لقد قيست كل مؤسسة من هذه المؤسسات الخمسين من ناحية « تطورها الفنى » بمقتضى مقياس ذى نقاط عشر ، كما أن هذين الباحثين حددا الصفات المميزة لأكثر المؤسسات الصناعية قابلية لاتباع الأفكار الجديدة ، ولأقلها من هذه الناحية . ومن العوامل التى وجد أنها ذات صلة بالأخذ بالأفكار الجديدة ما يأتى :

١ — الروح الطيبة التى تبديها المؤسسة الصناعية نحو الأخذ بالمنهج العلمى ونحو العلوم عامة كما توضحه المكانة الخاصة التى يتمتع بها الأفراد العلميون بالمؤسسة .

٢ — النظرة العالمية للأمور ، ويوضحها ميل الرؤساء والمشرفين بالمؤسسة الصناعية للسفر والاتصال بالعالم الخارجى وعدم اتباع السرية فى كل ما يتعلق بأعمال المؤسسة مع زائريها .

٣ — العمل على أن تكون لدى المؤسسة مصادر للمعلومات مناسبة ، ويوضح ذلك الاشتراك فى المجلات العلمية ، والاتصال المباشر بالجامعات .

٤ — المعدل المرتفع للتنمية الذى تعمل المؤسسة على تحقيقه .

٥ — انعدام المعارضة للتجديد ، وللأخذ بجديد الأفكار بين صفوف العاملين فى القاعدة .

وفى مجلة اقتصاديات الصناعة ، ظهر عدد من الدراسات التى أنجزت فى ميدان الصناعة على موضوع انتشار الأفكار الجديدة ، ولكن يبدو أننا لا نعلم كثيراً عن الدراسات الأخرى التى تمت وفقاً لهذا المنهج بعكس

الحال فيما يختص بالدراسات التى أجريت وفقاً لمناهج البحث الأخرى . على أنه قد يكون السبب فى ذلك تعدد الاتجاهات التنظيمية ، وتنوع أساليب العمل لدى الباحثين عن حقيقة انتشار الأفكار الجديدة فى ميدان الصناعة . وقد يكون السبب أيضاً أن هذه البحوث قد أجريت فى إنجلترا والولايات المتحدة فقط . ومما لا شك فيه أن ثمة قطيعة أكاديمية بين البحوث التى تجرى فى ميدان الصناعة ، وتلك التى تجرى فى الميادين الأخرى . وأول دليل على أن الباحثين فى ميدان الصناعة عن ذيوع الأفكار الجديدة بدأوا يدركون شيئاً عن مناهج البحث فى الميادين الأخرى لم يأت إلا فى عام ١٩٦٠ عندما تحدث « مانسفيلد » عن برنامج البحث فى ميدان علم الاجتماع الريفى ومنهج البحث فى ميدان علم الاجتماع الطبى ، وعندما جمع بين هذين المنهجين فى دراساته .

منهج البحث المتفق مع النشاط فى مجال علم الاجتماع الطبى :

ومنهج البحث فى علم الاجتماع الطبى بدأ العمل به فى فترة متأخرة نوعاً عن غيره من مناهج البحث الأخرى . وفى ميدان علم الاجتماع الطبى درست موضوعات منها :

١ — هل الأفضلية للأدوية الجديدة ، أو لأساليب العلاج الجديدة عندما يكون الأمر متعلقاً بالأطباء ؟

٢ — هل الأفضلية لمصل شلل الأطفال ، أم لأشعة إكس ، أم لموضوعات طبية أخرى عندما يكون الأمر متعلقاً بالجمهور عامة ؟

ومنهج البحث الخاص بعلم الاجتماع الطبى بلغ أشده فى الخمسينيات من هذا القرن ، وهو نفس الوقت تقريباً الذى بدأ فيه علم الاجتماع الطبى يحرز اعترافاً باعتباره ميداناً من ميادين التخصص الداخلة فى نطاق علم الاجتماع . ومن أوائل الدراسات التى أجريت على انتشار دواء ما ، البحث الذى

قام به «كابلو» عام ١٩٥٢ وحده، وكذلك البحث الذى قام به بالاشتراك مع «ريمون» عام ١٩٥٤، وهذان الأخيران عملا جاهدين على تحديد درجة تأثير قادة الرأى فى مجال انتشار أدوية معينة فى أوساط الأطباء. على أن النتائج التى وصلا إليها لم تكن حاسمة.

الدراسة التى قامت بها جامعة «كولومبيا» على انتشار أنواع معينة من العقاقير الطبية:

من المقطوع به أن الدراسة الأساسية فى ميدان علم الاجتماع الطبى هى تلك التى قام بها ثلاثة من علماء الاجتماع هم: «اليهو كاتز» و «هربرت ميتشل» و «جيمس كولمان»، وجميعهم أعضاء بإدارة البحوث الاجتماعية التطبيقية فى جامعة «كولومبيا». وأهمية هذه الدراسة - وقد أطلق عليها فيما بعد «دراسة العقاقير الطبية» - يمكن مقارنتها من حيث الأهمية بالدراسة التى قام بها «رايان» و «جروس» لفكرة استخدام الفلاحين للذرة الهجين من حيث إسهام هذه الدراسة فى تنمية معلوماتنا عن انتشار الأفكار الجديدة بين الناس. والجذور التى نشأت منها هذه الدراسة المتعلقة بالعقاقير الطبية يمكن إرجاعها إلى سلسلة من المحاورات التى نظمها أعضاء إدارة البحوث الاجتماعية التطبيقية بجامعة «كولومبيا»، تلك المحاورات التى تدور حول الميادين التى ما زال ينقصها البحث والتحرى. وفى أثناء هذه المحاورات، اقترح «اليهو كاتز» تتبع آثار التأثيرات الشخصية التى تنتج عنها أنواع معينة من السلوك المتغير على أن يكون هذا التتبع على صورة تصوير تخطيطى للعلاقات الاجتماعية. لقد كان أحد أعضاء هذه الإدارة مديراً لقسم بحوث التسويق بإحدى مؤسسات الأدوية الكبيرة، وهى مؤسسة «شارلز وايزر» وشركاه «بنيويورك»، وكان هذا العضو قد تقدم إلى الإدارة المذكورة عام ١٩٥٤ طالباً المعاونة فى دراسة تنشر فى مجلة

مؤسسة « وايزر » عن أثر العقاقير الطبية التى تنتجها تلك المؤسسة ، ومدى انتشار هذه العقاقير فى أوساط الأطباء . فى هذا البحث نجد أن فكرة « كاتز » الرامية إلى دراسة التأثير الذاتى قد استخدمت لمعرفة الظروف التى يقرر فيها الأطباء استخدام عقاقير جديدة .

لقد قدمت مؤسسة « وايزر » منحة مالية قدرها أربعون ألف دولار توضع تحت تصرف الإدارة المذكورة للصرف منها على تلك الدراسة التى بدأت عام ١٩٥٤ . وفى مايو عام ١٩٥٤ بدأ هـــذا المكتب فى دراسة استطلاعية متخذاً لها موضوعاً هو إقبال ثلاثة وثلاثين طبيباً فى مدينة من مدن « نيو إنجلاند » على استعمال عقار جديد ، وتحدث عن نتائج هذه الدراسة فيما بعد « منتزل » و « كاتز » عام ١٩٥٥ .

وبعد أن جربت الأساليب الفنية ، وطرائق العمل ، ومحصت فى ضوء ما تم فى الدراسة الاستطلاعية ، نفذت الخطوات الأولى لهذا البحث فى مدن أربع من ولاية « إلينوى » ، وكان ذلك فى نهاية عام ١٩٥٤ . وقد وجد أن ثلاثة من القطاعات التى وقع عليها الاختيار بلغ عدد سكانها من ثلاثين ألفاً إلى أربعين ألفاً فى حين كان القطاع الرابع عبارة عن مدينة عدد سكانها مائة وعشرة آلاف . أما المعلومات التى تمخض عنها هذا البحث ، فقد جاء ذكرها فى مؤلف « ليتزل » عام ١٩٥٩ ، وفى كتابات « كولمان » عام ١٩٥٧ وعام ١٩٥٩ ، وفى كتابات « كاتز » ، وفى مؤلف « كاتز وليفين » ، كما أشار اليها « ميتزل » مرة بعد ذلك . والنقاش الحالى الذى نورده حول هذا الموضوع يقوم على المعلومات المستمدة أصلاً من المدن الأربع فى ولاية « إلينوى » أكثر مما يقوم على تلك التى حصلنا عليها من الدراسة الاستطلاعية التى أجريت فى « نيو إنجلاند » .

قامت هذه الدراسة ، « دراسة العقاقير الطبية » ، بتحليل انتشار إحدى المضادات الحيوية التى ظهرت فى أواخر عام ١٩٥٣ . والدواء الجديد

أشارت إليه إدارة البحوث الملحقة بجامعة «كولومبيا» فى معظم مطبوعاتها، وأطلقت عليه اسماً رمزياً هو «جامانين». و «الجامانين» جربه مرة على الأقل ٨٧٪ من أطباء المدن الأربع فى ولاية «إلينوى»، وكان ذلك فى استفتاء جرى بعد ظهوره بخمسة عشر شهراً. لقد ظهر أن هؤلاء الأطباء قبل ظهور العقار الجديد كانوا يستخدمون بكثرة نوعين متلازمين من العقاقير، وهما ينتسبان إلى نفس العائلة التى ينتسب إليها عقار «الجامانين». بهذا الوضع يمكن القول إن العقار الجديد قد حل محل فكرة كانت موجودة بالفعل بنفس الطريقة التى حلت بها بذور الذرة الهجين محل البذور ذات اللقاحات المتعددة.

وشركات الأدوية من عادتها الاحتفاظ بأعداد من العاملين الذين يطلق عليهم «هيئة الدعاية»، وهم يترددون على الأطباء لكى يحيطوهم علماً بالأدوية الجديدة. لقد أملت مؤسسة «وايزر» أن تعرف من الدراسة التى قامت بها إدارة البحوث بجامعة «كولومبيا» شيئاً عن الطريقة التى يمكن التأثير بها على الأطباء حتى يشتروا الدواء الجديد، كما أن هدف المؤسسة كان أيضاً إدخال التعديلات على تبويب مجلاتها العلمية، وتنوير العاملين بالدعاية فيها. وقد يكون من اللازم هنا ملاحظة أن الموعزين بهذه الدراسة لم يستخدموا استخداماً كاملاً نتائج الدراسة، كما أنهم لم يقدروا الأهمية الاجتماعية لهذا البحث حق قدره.

وبالطبع إنه المريض، وليس الطبيب هو الذى يدفع ثمن الدواء الجديد ذى السعر المرتفع، وإن كان الطبيب هو الذى يصدر القرارات فى هذا الموضوع. وأحد المواقف القليلة الشبيهة بهذا الموقف نجده عندما يلتزم أحد هيئات التدريس فى إحدى الكليات بكتاب مدرسى معين، يقوم طلابه بشرائه فعلاً. ومتعهد بيع الكتاب، شأنه فى ذلك شأن مندوب

الدعاية فى حالة الدواء ، لايقوم بالبيع الفعلى للسلعة ، ولكنه يحاول جهده أن يؤثر على المعلم كى يلتزم بالكتاب ، ويدعو إلى شرائه .

لقد قام أعضاء إدارة البحوث بالجامعة المذكورة ، وجميعهم من علماء الاجتماع ، بمقابلة مائة وخمسة وعشرين طبيباً من الممارسين العموميين ، وأخصائيي الأمراض الباطنية، وأخصائى طب الأطفال ، وجميعهم يعملون فى المدن الأربع بولاية « إلينوى » وهم يكونون ٨٥ ٪ من الأطباء العاملين فى التخصصات التى كان للعقار الجديد أهمية خاصة فى علاج الأمراض المتصلة بها .

وفى أثناء المقابلة الشخصية طلب من كل طبيب أن يذكر :

١ — أسماء ثلاثة من أقرب الأصدقاء إلى نفسه من بين مجموعة الأطباء .

٢ — ثلاثة أو أربعة أطباء يفضل أن يتبادل وإياهم الرأى فى الأمراض وطرق العلاج .

٣ — الزملاء الذين يلجأ إليهم عادة عند ما يكون فى حاجة إلى معلومات خاصة ، أو نصيحة معينة ، فى ميدان استخدام العقاقير العلاجية .

والأطباء المائة والخمسة والعشرون موضوع الاستفتاء أشاروا أيضاً بضرورة استفتاء مائة وثلاثة أطباء أخر من ذوى التخصصات الأخرى فى المدن التى يعملون بها . وفى حين أن العديد من النتائج المستمدة من هذه الدراسة تنهض أساساً على الاستفتاء القائم على الأطباء المائة والخمسة والعشرين ، فإن تحليل الرأى العام وقياس مدى ما هنالك من زيادة فكرية يقوم على أساس المعلومات المستمدة من مجموعة الأطباء المائتين والثمانية والعشرين ، وهى المجموعة التى تتألف منها العينة ككل ، وهؤلاء يشكلون ٤ ٪ من مجموع الأطباء العاملين فعلاً فى العيادات الطبية الخاصة فى المدن الأربع .

وتحديد اليوم المقرر لفحص بطاقات الدواء التى صرفها كل طبيب من

هؤلاء الأطباء تم عن طريق مراجعة هذه البطاقات المسجلة بمخازن الدواء المنتشرة فى المدن الأربع موضوع الدراسة . كذلك حددت أيام ثلاثة أختيرت من كل شهر من الشهور السبعة عشر التالية لظهور عقار « الجامانين » ثم درست جميع التذاكر الطبية التى صدرت خلال هذه الأيام الثلاثة . لقد روجعت سجلات البيع فى أربعة وستين مخزناً من مخازن بيع الأدوية من مجموع مخازن الأدوية فى المدن الأربع وعدد هذه المخازن أربعة وثمانون مخزناً . أما العشرون الباقية فلم يكن لها أهمية كبيرة فى سوق الأدوية .

أحد الأساليب البارعة التى استخدمت فى هذه الدراسة فى دقة وذكاء هو الزمن باعتباره مقياساً موضوعياً حيث اهتم الباحثون بالتوصل للوقت الذى دخل فيه هذا العقار مجال الاستعمال ومصدر ذلك التواريخ المسجلة على التذاكر الطبية التى كتبها الأطباء لمرضاهم . وباستثناء الدراسة التى قام بها « هافن » عام ١٩٦٢ لتحليل انتشار فكرة نقل الحليب فى فناطيس معدنية ، يمكن القول بأن هذا البحث الذى قامت به جامعة « كولومبيا » على انتشار عقار « الجامانين » هو الدراسة الوحيدة التى تحرر فيها الباحثون من قيود الاعتماد على المعلومات المألوفة فى جميع البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة ، وهى المعلومات التى تخضع لأحكام الذاكرة . والواقع أنه كان ثمة ميل قوى لدى معظم الأطباء للادعاء بأنهم استعملوا العقار الطبى سابق الذكر قبل التواريخ المذكورة فى سجل الصيدليات .

وأسلوب البحث الذى استخدم فى هذه الدراسة هو دراسة عقار « الجامانين » بالرغم من أنه يسقط من حسابه مصدراً من مصادر عدم الدقة والاختلال من ناحية تحديد طول الفترة الزمنية التى استخدم فى أثنائها . وثمة مصدر آخر من مصادر عدم الدقة ألا وهو موقف الطبيب الذى وصف هذا الدواء فى يوم من الأيام السبعة والعشرين من الشهر ، وهى الأيام

الخارجة عن نطاق الفحص ، ولم يصفه خلال الأيام الثلاثة من الشهر ، وهى الأيام المقررة للفحص . ومهما يكن من أمر ، فإن الاعتماد على السجلات الحاوية على تواريخ التذاكر الطبية قد يعتبر فى حد ذاته تقدماً كبيراً فى مجال التغلب على صعوبات الأخذ بالمعلومات المستوحاة من الذاكرة ، ومن الأمور المدعاة لسوء الحظ أن الباحثين اتبعوا نظام تحديد أيام ثلاثة فقط من أيام الشهر لإجراء الفحص الاحصائى ، وكان الأنسب مراجعة جميع أيام الشهر ، والخروج من هذه المراجعة بمتوسط عام يقاس به مدى الإقبال على وصف العقار للمرضى .

وثمة عيب آخر فى هذه الدراسة ألا وهو اعتماد الباحثين على التاريخ الذى بدأت فيه التجربة ، وليس على تاريخ دخول العقار إلى مجال الاستعمال الفعلى . ومن هذه الناحية تعرضت هذه الدراسة إلى ضعف مشابه للضعف الذى تعرضت له دراسة تجربة الذرة الهجين إذ أن تواريخ القيام بالتجربة جاءت مباشرة فى أعقاب تواريخ تبنى الأطباء لعقار «الجامانين» ، وقد ترتب على ذلك شىء من عدم الدقة فى قياس مدى الإنتشار فيما يتعلق بذيوع هذا العقار فى أوساط الأطباء .

لقد انتقد «هاوكنز» عام ١٩٥٥ هذه الدراسة للنقص الذى لاحظه عليها من حيث الاستعانة بما كتب فى مجال العقاقير وملابسات انتشارها فى أوساط الأطباء والمرضى . والواقع أن الباحثين الذين قاموا بهذه الدراسة ، دراسة «الجامانين» ، لم يكونوا على علم بالبحوث التى جرت فى المجالات الأخرى ، كما أنهم لم يكونوا على بينة من البحوث التى جرت على انتشار العقاقير فى الوقت الذى كانت تجمع فيه المعلومات الخاصة بعقار «الجامانين» . على أن هذا النقص الأخير قد لا يعتبر من الأمور الخطيرة بالنسبة للبحث إذا ما راعينا أنه ما كان ليتأثر كثيراً لو أن القائمين على البحث كانوا على علم بما سبق أن أجرى من دراسات على العقاقير الطبية وانتشارها .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الدراسة قد عانت بعض المعاناة من حيث

التخطيط لها والأسلوب الذى استخدم فيها وبسبب جهل القائمين عليها بالبحوث التى أجريت فى المجالات الأخرى وفقاً لمناهج بحث مغايرة . فمثلاً نحن نلاحظ على هذه الدراسة عدم الاهتمام بالمراحل التى سارت فيها عملية تبنى الفكرة الجديدة . وليس سراً القول بأن أعضاء هيئة البحوث فى جامعة « كولومبيا » ، أولئك الذين تعهدوا بالقيام بهذا البحث وإنجازه ، قد أعلنوا دهشتهم عند ما علموا بوجود دراسة أخرى خاصة بانتشار فكرة بذور الذرة الهجين . وهذه الدراسة التى جرت على عقار « الجامانين » تمت منذ بضعة سنوات مضت دون أن يعلم القائمون بها مدى التشابه والتماثل بينها وبين الدراسة التى قام بها « رايان » و « جروس » عن الذرة الهجين قبلها بخمسة عشر عاماً .

ومن الصعب أن نقول فى دقة متى حدث الالتقاء بين هذه الدراسة ، وبين غيرها من الدراسات التى أجريت فى مجالات أخرى ، ووفقاً لمناهج بحث مغايرة . ومما لا شك فيه ، أن أعضاء هيئة البحوث فى جامعة « كولومبيا » ، وهى الهيئة التى قامت بهذا البحث ، كانوا على علم بمنهج البحث المطبق فى علم الاجتماع الريفى ، ولكن إدراكهم لهذا الأمر لم يؤد مباشرة إلى تبادل محسوس للخبرات العلمية بين المنهجين لسنوات طويلة . وإحدى نتائج الالتقاء — وفقاً لما أشار به « كاتز » و « ليفين » — تأثر بها الباحثون فى موضوعات الانتقال الجمعى للأفكار ، وبخاصة أولئك الذين وقعوا فى خطأين متصلين بفكرتهم عن المجتمع الحديث .

هذان الخطآن هما :

١ — الافتراض بأن وسائل الاتصال الجمعى تصلح كأداة طيعة لتفسير الظواهر المختلفة لحياة الناس .

٢ — النظر إلى المجتمع الإنسانى على اعتبار أنه « كتلة واحدة أساسها أشتات من الناس منعزل بعضهم عن بعض » .

هذان العيبان الهامان تنبه إليهما أخيراً الباحثون فى مجلات الاتصال الجمعى فأخذوا يعملون على ملاقاتهما وخاصة فى الدراسات التى أجريت فى ميادين علم الاجتماع الريفى .

والنتائج المستمدة من الدراسة التى قامت بها جامعة « كولومبيا » على عقار « الجامانين » ، تلك النتائج التى يمكن اعتبارها على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لموضوع هذا الكتاب ، تتضمن أموراً ثلاثة هى :

١ — المعلومات المفصلة ذات الأهمية فى قياس العلاقات الاجتماعية ، وهى المعلومات التى أدلى بها الأطباء الممارسون والذين يستخدمون العقار ، قد مهدت الطريق للقيام بتحليل عميق لأنماط التأثيرات التى عاونت على انتشار « الجامانين » فى أوساط الأطباء ، وهذا أدى بدوره إلى تحديد العلاقة بين القيادة العسكرية وبين انتشار الأفكار . وإن المعلومات الكاملة عن المكانة التى يشغلها الأطباء فى المجتمع الذى تجرى فيه التجربة كان لها الفضل فى ظهور إحدى الدراسات التحليلية المعقدة للتأثيرات الشخصية فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة .

٢ — أنشأت هذه الدراسة أسس الارتباط ومعاملاته ، تلك الأسس والمعاملات ذات الصلة باستعدادات الأطباء موضوع الدراسة لتبنى الأفكار الجديدة . وهذه الناحية لم يتطرق إليها أحد فى دراسة سابقة . ومعظم معادلات التغير الخاصة بالاستعداد لاعتناق الأفكار الجديدة كالمعادلات الخاصة بمدى الانفتاح على العالم الخارجى، والأوضاع الاجتماعية ، والقيادة فى ميادين الرأى ، وحجم العمليات ، والحساسية الاجتماعية ، كل هذه أمكن وضعها موضع الدراسة والفحص فى عينات مؤلفة من فلاحين وعاملين. على أنه من الهام ملاحظة أن نفس هذه المعادلات تحكم التصرفات التى تصدر عن الأطباء الممارسين فى مجال الأخذ بالأفكار الجديدة .

وثمة عامل من العوامل ذات الصلة بالاستعداد لتبنى الأفكار الجديدة هو : هل الطبيب موضع الاستفتاء يضع أصول المهنة فى المقام الأول

أو أنه يتجه نحو إرضاء المريض على حساب المهنة ؟ والمصدر الذى يرجع إليه الفاحص بالنسبة لهذا العامل فى وضعه الأول هم زملاء الطبيب أنفسهم فى حين أنه بالنسبة للوضع الثانى يُنظر إلى مدى احترام المرضى للطبيب المعالج . والأطباء الذين يضعون أصول المهنة فى المقام الأول استخدموا عقار « الجامانين » لأول مرة قبل أن يستخدمه الفريق الآخر ، وهم الذين يتجهون نحو إرضاء المرضى على حساب المهنة لفترة زمنية تقدر بثلاثة أشهر فى المتوسط .

٣ — أما الفائدة الثالثة التى نخرج بها من دراسة جامعة « كولومبيا » على عقار « الجامانين » ، فهو الأسلوب الفنى الذى اتبع لتحديد تاريخ استخدام الأطباء لعقار « الجامانين » لأول مرة على أساس ما هو مسجل فى التذاكر الطبية لا على أساس ما تعيه الذاكرة البشرية .

الدراسات التى أجريت أخيراً على موضوع انتشار الأفكار الجديدة فى مجال علم الاجتماع الطبى :

ومنذ الوقت الذى قامت فيه جامعة « كولومبيا » بإجراء دراستها على عقار « الجامانين » ، وكيفية انتشاره بين الأطباء والمرضى ، أنجز عدد من التحليلات للرأى العام فى مجال العلاج والأدوية ، ومن أمثلة هذه التحليلات ما يأتى :

١ — انتشار مصل « سولك » لشلل الأطفال وقام بهذه الدراسة « ديزى » عام ١٩٥٦ ، و « جايزر » عام ١٩٥٨ ، و « سيلز » و « جيل » عام ١٩٥٩ .

٢ — استخدام أشعة إكس فى تشخيص الأمراض ، وقام بهذه الدراسة « هوشبوم » و « بيراكاريز » عام ١٩٦١ .

٣ — وضع الفلورين فى مجمعات مياه الشرب لمنع تسوس الأسنان ،

وقام بهذه الدراســـة « ماكنيل » عام ١٩٥٧ و « جامسون » عام ١٩٦١ و « ديفيز » عام ١٩٥٩ وآخرون .

ومعظم الدراسات الحديثة فى ميدان علم الاجتماع الطبى تحلل الارتباطات الداخلة فى تكوين الاستعدادات لاعتناق الأفكار الجديدة ، ومن أمثلة هذه الارتباطات المركز الاجتماعى ، والميل إلى الأخذ بالأسلوب العلمى . هذه الدراسات من المحتمل أنها لم تضف سوى النزر القليل نسبياً إلى معلوماتنا عن ذيوع الأفكار بين الناس .

العلاقة بين الدراسات التى تمت وفقاً لمناهج البحث المختلفة :

ثمة تبادل ثقافى بين الدراسات التى تمت وفقاً لمناهج البحث الستة . وهذا التبادل من ناحية الحجم يفوق أى تبادل بين الدراسات الأخرى . ولقد لاحظنا أن ثمة عزلة بين الدراسات التى تمت وفقاً لمنهج البحث فى علم الأنثروبولوجيا وبين تلك التى تمت وفقاً لمنهج البحث فى مجال الصناعة .

وشكل (٢ — أ) يوضح عدداً من العلاقات المشتركة بين الدراسات التى تمت وفقاً لمناهج البحث الستة . وهذه العلاقات جاء ذكرها فى التقارير التى كتبت عن هذه الدراسات . وعلى العموم ، فى الامكان ملاحظة اتجاه واضح سار فيه الباحثون الذين طبقوا المناهج القديمة فى دراساتهم ، وهذا الاتجاه يفيد عند البحث فى المناهج التى ظهرت أخيراً .

لِمَ يوجد مثل هذا النقص الواضح فى الصلات بين مناهج البحث الستة الرئيسية ؟ ثمة سبب واحد على الأقل ، وقد يكون هو الانعزال التام بين هذه المناهج وعدم إحساس أى منها بوجود الآخر بالرغم من أن جميع الأفراد العلميين الذين يقومون بهذه الدراسات يتعلمون فى الجامعة « أن البحث يبدأ أولاً فى المكتبة وليس فى المعمل » . وثمة سبب آخر نجده فى الحوائل المصطنعة التى نشأت بين هذه المناهج بعضها ببعض ، وهذه الحوائل عاقت

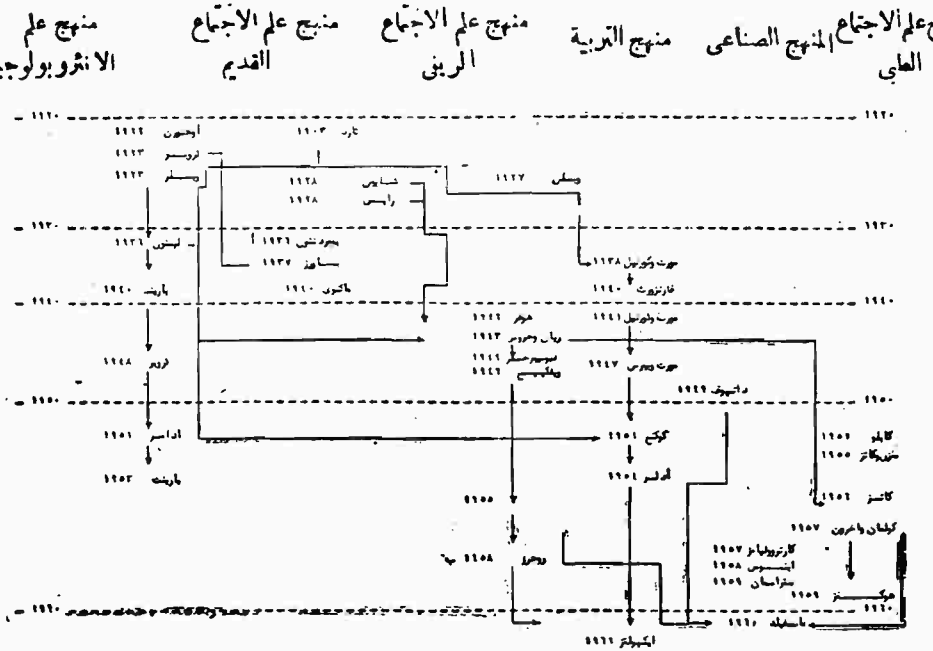

(شكل رقم ٢ — أ) يبين العلاقات بين كل منهج من مناهج البحث فى الميادين الستة وبين غيره من المناهج الأخرى فى مجال انتشار الافكار الجديدة .

الاتصال بين الباحثين كما أثرت فى مدى تقدير كل منهم لعمل الآخر . وفى هذا يتحدث « كاتز » عن « الانعزالية العلمية التى كان من نتائجها انقطاع الصلة بين مناهج البحث فى الميادين الستة » .

ومن الممكن أن يكون أحد المؤلفين على علم بمناهج البحث الأخرى غير المنهج الذى يعمل فى إطاره لأنه يعتبر المناهج الأخرى هامة بالنسبة للعمل الذى يقوم به . ومهما يكن من أمر ، فإن السبب قد يكون على الأغلب جهل الباحث بالبحوث التى أنجزت فى الميادين الموازية للميادين التى يعمل فيها ، وهذا الجهل من شأنه إعاقة الاتصال بين الميادين المختلفة . مثال ذلك أن منهج البحث فى مجال علم الاجتماع الريفى ظل يجهل كل شىء عن منهج

البحث الضخم فى مجال التربية والتعليم حتى بعد عام ١٩٥٥ بالرغم من أن المنهجين استمرا فترة تزيد على سبعة عشر عاماً .

وإحدى نتائج انعدام الاتصال بين مناهج البحث المختلفة ، وهى نتيجة طيبة على أى حال ، تتلخص فى أن تكرار الدراسات من شأنه تمهيد الطريق لظهور صور متعددة لشىء واحد . مثال ذلك موقفنا من المجددين والمتمردين على الأوضاع السائدة : هل الطلائع المجددة ينظر إليها باعتبار أن أفرادها من المنحرفين ؟ إننا نجد الجواب على ذلك يكاد يكون موحداً من خلال جهود الباحثين فى علم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الريفى وعلم الاجتماع الطبى . إن كل باحث من هؤلاء قد درس المشكلة وليس فى جعبته سوى القليل من العلم بجهود الآخرين .

وثمة طريقة مشوقة من الطرق المؤدية إلى تحليل التقاء مناطق البحث فى الدراسات التى أنجزت فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة ألا وهو اقتفاء أثر فكرة معينة من الأفكار المتعلقة بموضوع الانتشار من لحظة ظهورها حتى انتشارها . فمثلاً فى مقدور المرء أن يكشف النقاب عن الاتجاه التطورى الذى سار فيه الخط البيانى ذو الشكل الشبيه بالحرف « S » لمن يتبنى الفكرة الجديدة من عهد « تاردى » عام ١٩٠٣ و « شابان » عام ١٩٢٨ من خلال علم الاجتماع القديم وعلم الاجتماع الريفى والعلوم التربوية وعلم الاجتماع الطبى . إما هذا ، أو أن المرء فى مقدوره أن يقتفى أثر أفكار معينة فى مجال الدراسات التى تجرى على انتشار الأفكار الجديدة ، ومن أمثال هذه الأفكار تصنيف جماعات المجددين إلى فئات ، أو قياس القدرة على ابتداع الأفكار والسير فى طريق التجديد ، أو طرق القياس فى العلاقات الاجتماعية واستخدام هذه الطرق فى الكشف عن قادة الرأى فى الجماعات المختلفة ، أو الصفات المميزة للأفكار الجديدة . وحتى هذه اللحظة فإن هذا

النوع من التحليل لمناهج البحث فى مجال انتشار الأفكار الجديدة لم يستكمل مقوماته بعد .

الملخص :

ثمة مناهج ستة رئيسية للبحث فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة ، وهذه المناهج هى : المنهج الأنثروبولوجى ، ومنهج علم الاجتماع القديم ، ومنهج علم الاجتماع الريفى ، ومنهج العلوم التربوية ، ومنهج علم الاجتماع فى ميادين الصناعة ، ومنهج علم الاجتماع الطبى . ومنهج البحث هو مجموعة الدراسات التى أجريت على موضوعات متشابهة داخل إطار واحد مع تأثر هذه الدراسات بما سبقها . ومما هو معروف أن القائمين بالدراسات الخاصة بانتشار الأفكار الجديدة لا يعرفون كثيراً عن الدراسات الأخرى التى تجرى على نفس هذا الموضوع فى مجال آخر .

وفيما يلى بيان تلخيصى بالصفات الخاصة بكل منهج من مناهج البحث فى الميادين الستة :

دراسة مقارنة لمناهج البحث الخاصة
بانتشار الأفكار الجديدة فى الميادين الستة

جدول رقم (٢ — ١)

المنهج	الميادين الأساسية التى يعمل فيها	الطريقة الأساسية المستحدثة فى جمع المعلومات وتحليلها	وحدة الدراسة	الأنماط الأساسية للمستخلصات من الدراسة
١ ــ علم الأنثروبولوجيا	علم الأنثروبولوجيا	الاعتماد على الباحث وعلى الشخص الذى يجرى عليه البحث والاستعانة بالتحليل الوصفى .	المجتمعات أو القبائل	كيف تنتشر الفكرة من مجتمع إلى مجتمع
٢ ــ علم الاجتماع القديم	علم الاجتماع	معلومات مستقاة من مصادر ثانوية .	فى الأعم الاغلب بيئات صغيرة وفى بعض الأحايين أفراد	يسير الخط البيانى الذى يمثل اعتناق الفكرة الجديدة وفقاً لشكل يمثل حرف « S »
٣ ــ علم الاجتماع الريفى	علم الاجتماع	مقابلات شخصية وتحليل إحصائى	أفراد من المزارعين	إرتباطات فى مجال الانتشار وسمات مميزة للأفكار وهذه السمات تقوم على أساس السرعة التى يتم بها اعتناق هذه الأفكار ، مصادر المعلومات فى كل مرحلة من مراحل اعتناق الفكرة الجديدة
٤ ــ التربية والتعليم	التربية والتعليم	إستفتاءات ترسل بالبريد وتحليل إحصائى	وحدات مختارة من المدارس	إرتباطات فى مجال الانتشار
٥ ــ ميدان الصناعة	الاقتصاد الصناعى ، التاريخ الاقتصادى ، الهندسة الصناعية .	دراسة لحالات معينة وتحليل للاحصائيات ، المقابلات الشخصية	المصانع أفراد معينون	إرتباطات فى مجال الانتشار ، قيادة فكرية فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة
٦ ــ علم الاجتماع الطبى	علم الاجتماع ، علم الصحة			إرتباطات فى مجال الانتشار